

الشفا

القاضي عياض

٢١٩ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف عياض بن -
ش.ق
موسى - ٥٤٤هـ . بخط حافظ علي الشهير بالفرائضي سنة ١١٨٥هـ .
٢٩٠ق ١٩س ٥ر٢٠×٥ر١٥سم
نسخة جيدة ، مجدولة بالحمرة ، خطها تعليق ،
٩١١ طبع.
الأعلام ٥ : ٢٨٢ هدية العارفين ١ : ٨٠٥
١- السيرة النبوية أ- القاضي عياض، عياض بن موسى - ٥٤٤هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ

شفاء شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

القاضي الفقيه الامام ابو الفضل عياض بن موسى
بن عياض اليحصبي رضي الله تعالى عنه الحمد لله المنفرد
باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس
دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما
والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما
واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من
انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى و
ارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم
يقينا وعزما واشدهم بهم رافة ورحمى وزكاه روحا
وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما
وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فامن
به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما

وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقاء حتما
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى صلى الله عليه
صلاة تنمو وتنمى وعلى اله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله
قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به
لاوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة
بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته واثار قدرته
بما ملا قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به
واحدا ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة جماله
وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون
وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق
قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك
كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى
صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما
حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق
منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا
في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم
اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما
ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملا قلبي
رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير

وضوابط والكشف عن غوامض ودقائق من علم المغازي
مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او
يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة
والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح
تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها
الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل
فيها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني
لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال
وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه
التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من
حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولما اخذ الله على الذين اوتوا
الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد
هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقرائتي عليه قال حدثنا
الحسين بن محمد قال حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا ابو بكر محمد بن
بكر قال حدثنا سليمن بن الاشعث قال حدثنا موسى
بن اسمعيل قال حدثنا حماد قال اخبرنا علي بن الحكم
عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه
الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة فبادرت الى نكت سافرة
عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على
استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه
من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض
ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله
بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله
فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه
بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع
ينشره او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل
جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا
اليه زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت
تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره
وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله
عليه وسلم وحصرت الكلام فيه في اربعة اقسام القسم
الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي المصطفى
قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب
الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه
وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن

خلقاً وخُلقاً وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية
فيه نسقاً وفيه سبعة وعشرون فصلاً الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر
فصلاً الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من
المعجزات والآيات وشرفه به من الخصائص والكرامات
وفيه ثلثون فصلاً القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه
عليه السلام ويترتب القول فيه على اربعة ابواب الباب الاول
في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه
خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة
فصول الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه
سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم
وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث
فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور
البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو
سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد
والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات
وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التأليف
وعده وعند التقصي لموعده والتفصي عن عهدته يشرق

صدور العمى الظالمين ويشرق قبس المؤمن باليقين ويملأ
انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه
وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الاول فيما
يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة
عشر فصلاً الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه
عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في
تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام
وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو
في حقه سب او نقص من تعريض او نص وفيه عشرة
فصول الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه
وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة
فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة
ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله
وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر
الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب وتتم الاقسام
والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج
التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين
وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق و
تعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه نستعين

في تعظيم الله تعالى لقدر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم
قولا وفعلا قال القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله تعالى
وسدده لا يخفى على من مارس شيئا من العلم او خص
بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله عليه
وسلم وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا
تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الا
لسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على
جليل نصابه واثنى به من اخلاقه وآدابه وحض العباد على
التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى
ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله
الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه
للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه
بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمواهب الكريمة والفضائل
العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة و
الكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من ادركه
وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك
الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة
مني عليه قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو

الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي
قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب
قال حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا عبد
الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا
فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام أبمحمد صلى الله عليه
وسلم تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله تعالى منه قال
فارفض عرقا **الباب** الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهاره
عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز آيات كثيرة
مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم وعد محاسنه
وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه
وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول **الفصل** الاول
فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله
تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي
وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم
قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله اعلم الله
تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على
اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث
فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون

صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك المضي لهم
لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس
رضي الله عنهما وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى
وكونه اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه
نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه
بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم
وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته
عليه ورافته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين
من اسمائه رؤوف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
الاية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية
وانه اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا
فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين واكثرهم حمدا وهو لواء
الحمد في القيامة ليتم به كمال الحمد ويقوم المقام المحمود الذي
يحمده فيه الاولون والاخرون ويفتح عليه من المحامد [illegible]
كما قال ما لم يعط غيره فحقيق ان يسمى محمدا واحمد وان يكون
اجل الحامدين وافضل المحمودين ولما كان اسمه ما [illegible]

انه يخرج بعده الاكثر من ذكر الرسالة وروى عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم
قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن آدم سفاح
كلها نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه خمسمائة
ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية
وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا
وقال جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته
فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته
فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته
الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته
طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد
اطاع الله الاية وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة فكان
كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه
شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه
والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة
كما قال عليه السلام حياتي خير لكم ومماتي خير لكم وكما قال عليه السلام

اذا راوا المعذرة رحمة بانه مخصص فيها قبلها فجعل لها وترى
وسلفى وقال السمرقندى رحمة للعالمين يعنى للجميع
والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق
بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال ابن
عباس رضى الله عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكى ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه
الرحمة شى قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله
عز وجل على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع
ثم امين وروى عن جعفر بن محمد الصادق فى قوله
تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اى بك انما وقعت
سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الله تعالى الله نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير
المراد بالنور الثانى هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
مثل نوره اى نور محمد وقال سهل بن عبد الله المعنى الله
هادى اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد اذ كان
مستودعا فى الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح
قلبه وبالزجاجة صدره اى كانه كوكب درى لما فيه من
الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اى من نور ابراهيم

عليه السلام وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضىء
اى يكاد نبوة محمد عليه السلام صلى الله عليه وسلم تتبين
للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل فى هذه الاية
غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى فى القران فى غير
هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال الله تعالى قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين وقد قال تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا
قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح ووسع
المراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضى الله عنهما
شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه
حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس
ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك قيل ما سلف
من ذنبك يعنى قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية
وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الما
وردى والسلمى وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب
ظهرك حكاه السمرقندى ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم
بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معى فى قول لا اله الا الله محمد
رسول الله وقيل فى الاذان والاقامة والتشهد قال
الفقيه القاضى ابو الفضل هذا تقرير من الله جل اسمه

لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته
عنده وكرامته عليه بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ووسعه
لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه
لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه
عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم وتنويهه
بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه
قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أتاني جبريل فقال إن ربي وربك يقول تدري كيف رفعت
ذكرك قلت الله ورسوله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي قال
ابن عطا جعلت تمام الإيمان بذكري معك وقال أيضا
جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد
الصادق لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية وأشار
بعضهم في ذلك إلى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته
بطاعته واسمه باسمه فقال أطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله
ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشتركة ولا يجوز جمع هذا
الكلام في غيره عليه السلام حدثنا الشيخ أبو علي الحسين
بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على الثقة عنه

قال

قال أنا أبو عمر النمري ثنا أبو محمد بن عبد المؤمن قال
ثنا أبو بكر بن داسة قال ثنا أبو داود السجستاني ثنا أبو الوليد
الطيالسي ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن
أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء
فلان قال الخطابي أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب
في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها
بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي
هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر أن خطيبا خطب
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله و
رسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال النبي
صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم أو قال
اذهب قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره إلى أنه إنما كره
له الوقوف على يعصهما وقول أبي سليمان أصح لما روي
في الحديث الصحيح أنه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر
الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون وأصحاب
المعاني في قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي
هل يصلون راجع على الله وملائكته أم لا فأجازه

بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصصوا الضمير بالملائكة
وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي
عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين و
يروى انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان
نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى
قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم
وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو
العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو
الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله
عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية
في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال
صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط
الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد
الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك

بالعروة

بالعروة الوثقى انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام وقيل هي
شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمت
الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين
اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه
وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف
وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل
علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى
الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضي الله عنهم **الفصل الثاني** في وصفه تعالى له بالشهادة
وما يتعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى
له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف
من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي
من خصائصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا
لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا
يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب
قال ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو
زيد المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا البخاري

[illegible]

[illegible]

ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطاء بن يسار قال
لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف
في التورية ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح
به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام وكعب الاحبار وفي طريقه عن ابن اسحاق ولا صخب
في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل
جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته و
العفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة
واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة
واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة
واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم
متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث آخر

اخبر برسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية
عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة
امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الآيتين وقد قال الله تعالى فبما رحمة من
الله لنت لهم الآية قال السمرقندي ذكرهم الله منته
انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان
فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله سمحا سهلا
طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله فضل نبينا صلى الله
عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله تعالى في الآية الا
خرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء
على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد الآية وقوله تعالى وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه
الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم بان جعلناكم امة
خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم
الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سأل الا
نبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير
ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء ويزكيهم

السلام وبر كبهم النبي عليه السلام وقيل معنى الاية انكم
حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمر
قندي وقال تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق
عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق
هو محمد عليه السلام يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم
بنبيهم عليه السلام وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هي
شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند
ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمة الله هي
سابقة رحمة اودعها في محمد عليه السلام وقال محمد بن علي
الترمذي رحمه الله هو امام الصادقين والصديقين الشفيع
المطاع والسائل المجاب محمد عليه السلام حكاه عنه السلمي الفصل
الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة و
المبرة من ذلك قوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك
الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل
ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك
الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بداه النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه
من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى

سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين
الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم
منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه
اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال
نفطويه ذهب ناس الى ان النبي عليه السلام معاتب بهذه
الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله
سبحانه وتعالى انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج
عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يجب على
المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب بآداب
القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف
الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتامل هذه
الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل
المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدا
بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان
ثم ذنب وقال الله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى
الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلام قبل
وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة
وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدا بثباته وسلامته

ذكرها عتبة عليه وخيفة ان يركن اليه في اشيا عتبه بر انه
وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثل قوله تعالى قد نعلم انه
ليحزنك الذين يقولون فانهم لا يكذبونك الاية قال كرم الله
وجهه ورضي الله عنه قال ابو جهل للنبي عليه السلام انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الاية وروي ان النبي عليه السلام لما كذبه قومه حزن فجاءه
جبرائيل فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون
انك صادق فانزل الله تعالى الاية ففي هذه الاية منزع لطيف
المأخذ من تسليته تعالى له صلى الله عليه وسلم والطافه في
القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له
معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل
النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الله
تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من
الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد
انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره
عمن قبله ووعده النصر بقوله تعالى ولقد كذبت رسل
من قبلك الاية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون

قوله منزع بفتح الزاي اي مرجع ... اه

على

على كذبك لا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك
الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه
وبره الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم
فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم
يخاطب هو الا بيا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها
المدثر **الفصل** الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره عليه السلام
قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفقوا اهل التفسير في
هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياته صلى الله عليه
وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال
ومعناه وبقائك يا محمد وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية
التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس رضي الله
عنه ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من
محمد عليه السلام وما سمعت الله تعالى عز وجل اقسم بحياة
احد غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله تعالى بحياة احد غير محمد
عليه السلام لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن
الحكيم الايات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال
فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي عليه السلام قال لي
عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له و
حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق رضي الله عنهم

انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه عليه السلام وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ليس انسان اراد محمدا عليه السلام وقال هو
قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد
وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس محمد و
عن كعب رضي الله عنه يس قسم اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق
السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقران
الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه عليه السلام
وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم
عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم
آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى
باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم
من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش
لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه عليهم السلام بالرسالة في كتابه
الا له عليه السلام وفيه من تعظيمه عليه السلام وتمجيده على تاويل
من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد آدم ولا فخر وقال الله تعالى لا اقسم
بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن
فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به
وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين

والمراد

والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا
البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني
المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصحح قوله تعالى
وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا
البلد الامين قال آمنها الله تعالى بمقامه فيها وكونه بها فان كونه
عليه السلام امان حيث كان ثم قال تعالى ووالد وما ولد من
قال اراد آدم عليه السلام فهو عام ومن قال هو ابراهيم عليه السلام
وما ولده فهي ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد عليه السلام
فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال الله تعالى الم ذلك
الكتاب لا ريب فيه قال ابن عباس رضي الله عنه هذه الحروف
اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال
سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام
جبرئيل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا
السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل
جبرئيل على محمد بهذا القران لا ريب فيه وعلى هذا الوجه
الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من
فضيلة قران اسمه باسمه تعالى نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في
قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم الله بقوة قلب حبيبه محمد عليه
السلام حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه

لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم الله وقيل جبل
محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن الصادق في محمد
رضي الله عنه في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد عليه السلام و
قال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع
عن غير الله وقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر
الفجر محمد لانه منه تفجر الايمان   الخامس في قسمه تعالى جده
لتحقيق مكانته عنده فقال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى
السورة اختلفت في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك
النبي عليه السلام قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك
بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت
السورة قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل رحمه الله
تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به و
تعظيمه اياه ستة وجوه   القسم عليه السلام عما اخبره
من حاله بقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا
من اعظم درجات المبرة   بيان مكانته عنده وحظوته
لديه بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك
وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك   فقوله تعالى وللآخرة
خير لك من الاولى الاية قال ابن اسحق اي مالك في مرجعك عند
الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل

ما ذخرت

ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك
في الدنيا   قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى و
هذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات
الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه
بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض و
الشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس في القرآن آية ارجى منها ولا يرضى رسول الله
عليه السلام ان يدخل احد من امته النار   ما عدّه
تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة
من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف
التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله في قلبه
من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقيل
آواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى
الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره
بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال
صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه   امره تعالى باظهار
نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله
واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها

وهذا خاص له عليه السلام عام للامة وقال تعالى والنجم اذا
هوى الى قوله تعالى لقد رأى من ايات ربه الكبرى اختلف
المفسرون في قوله تعالى والنجم باقاويل معروفة منها النجم على
ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه
السلام وقال هو قلب محمد عليه السلام وقد قيل في
قوله تعالى والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم
الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد عليه السلام حكاه السلمي
تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد
واقسم جل جلاله على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى
وصدقه فيما تلاه وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل
عليه السلام وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته
بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق
بصره فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى
وقد نبه تعالى على مثل هذا في اول سورة الاسراء و
لما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت
وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده
ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة

بالوحي

بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال
تعالى لقد رأى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن
تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات
الكبرى قال القاضي عياض رحمه الله واشتملت هذه الآيات
على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من
الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى
قلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه عليه السلام بقوله
وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى
وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول
شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم عند
مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن
المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم امين اي في
السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول
الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد
على هذا له عليه السلام وقال غيره هو جبرائيل عليه السلام
فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل
رأى جبرائيل في صورته وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم
ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير
بحكمه وعلمه وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال تعالى

ن والقلم وما الآيات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه
على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط
امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه
نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الآداب في المحاورة ثم
اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا ياخذه
عد ولا يمتن به عليه فقال تعالى وان لك لاجرا غير ممنون
ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما
للتمجيد بحرفي التاكيد فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قيل
القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك
همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه
اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق
فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر
للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه
ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه تعالى عن قولهم
بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله تعالى
فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه
على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك
بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال
الذم فيه بقوله تعالى فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير

الاولين

الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة
بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له
اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده
لنفسه واثبت في ديوان مجده الفصل السادس فيما ورد
من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام
قال تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم
من اسمائه عليه السلام وقيل هو اسم الله تعالى وقيل معناه
يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان
قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من
الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على الارض
بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة
وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية
فيما كان النبي عليه السلام يتكلفه من السهر والتعب
وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن وغير واحد عن القاضي ابو الوليد الباجي اجازة
ومن اصله نقلت قال ثنا ابو ذر الهروي الحافظ قال ثنا ابو
محمد الحموي ثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي قال ثنا
عبد بن حميد ثنا هاشم بن القسم عن ابي جعفر عن
الربيع بن انس رضي الله عنه قال كان النبي عليه السلام

اذا اصلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طأ
الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا
كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه
السلام كما قيل او جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل
هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك
لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله تعالى ايضا لعلك
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة وقوله
تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك قال مكي سلاه الله
تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلم ان من تمادى
على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله
تعالى كذلك وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله بما اخبر به عن الامم السالفة
ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته
بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب

نفـ

نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم
فما انت بملوم اي في اداء ما بلغت وابلاغهم ما حملت ومثله قوله
تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك
بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة من
هذا المعنى السابع فيما اخبر الله به في كتابه العزيز
من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته
عليهم قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما
آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله تعالى من الشاهدين قال
الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه
وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه
الآية قال المفسرون اخذ الله تعالى الميثاق بالوحي فلم
يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان
ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم
ان يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد عليه السلام قال علي
بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم عليه
السلام فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله
عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه
ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي

وقتاده في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية
وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في كلام بكى به النبي صلى
الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عند الله تعالى ان بعثك آخر الانبياء وذكرك
اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم
بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله و
اطعنا الرسولا وقال قتادة ان النبي عليه السلام قال
كنت اول الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما
هنا قبل نوح وغيره عليهم السلام قال السمرقندي في هذا
تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم
المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم
عليه السلام كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض الآية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم
درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر و
الاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس

احد من الانبياء اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد عليه
السلام مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب
الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال
يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله
تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد عليه
السلام اي ان من شيعة محمد لابراهيم عليه السلام
اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي
وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن في اعلام الله
تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه
عليه السلام قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي عليه السلام من مكة وبقي فيها من
بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله ولولا رجال مؤمنون
الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما كان لهم الا يعذبهم الله
وهذا من ابين ما يظهر مكانته عليه السلام ودرئه العذاب
عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم
فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم
اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم و
اموالهم وفي الآية ايضا تاويل آخر حدثنا القاضي الشهيد

ابو علي رحمه الله بقرائتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون
وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة
ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزي ثنا
ابو عيسى الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا ابن نمير عن
اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف
عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه رضي الله عنهم قال
قال رسول الله عليه السلام انزل الله علي امانين لامتي
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار
ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال عليه
السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن وقال بعضهم الرسول عليه السلام هو الامان الاعظم
ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت
سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله
وملائكته يصلون على النبي الآية ابان الله تعالى فضل
نبيه عليه السلام بصلاته عليه ثم بصلوة ملائكته وامر
عباده بالصلوة والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك
ان بعض العلماء تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة
عيني في الصلوة على هذا اي في صلاة الله علي وملائكته

وامره

وامره الامة بذلك الى يوم القيمة والصلوة من الملائكة
استغفار ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون
يباركون وقد فرق النبي عليه السلام حين علم الصلوة
عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة
وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان
الكاف من كاف اي كفاية الله لنبيه عليه السلام قال
الله تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له
قال الله تعالى ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده له
قال تعالى وايدك بنصره والعين عصمته له قال تعالى والله
يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال تعالى ان
الله وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه الآية مولاه اي وليه وصالح المؤمنين
قيل الانبياء وقيل الملائكة عليهم السلام وقيل ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما وقيل علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه
وقيل المؤمنون على ظاهره الفصل التاسع فيما تضمنته
سورة الفتح من كراماته عليه السلام قال الله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم
تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته
عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن

الا انتهى اليه فانه اجل جلاله باعلامه بما قضاه له من الفتح
المبين بظهوره وغلبته على عدوه وبعلو كلمته وشريعته وانه
مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد
غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي
جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة
بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل
بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل
برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه
بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها
له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة و
السعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين
بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم
بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم
وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته
وسوء منقلبهم ثم قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الآية عدد محاسنه وخصائصه عليه السلام
من شهادته على امته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم وقيل شاهدا
لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة و
منذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمنوا بالله

ثم به

ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اي تجلونه وقيل
تنصرونه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه اي تعظموه وقرأ
بعضهم تعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا
في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى وتسبحوه وهذا
يرجع الى الله تعالى قال ابن عطاء رحمه الله جمع للنبي عليه السلام
في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من
اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية
فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة
والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد
رحمه الله من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته و
نسخ به شرائع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج
حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل
له ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم
وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد
ثم قال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون ببيعتهم اياك يد الله
فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه
وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس

في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم اياه وتعظيم لشأن المبايع صلى
عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم و
لكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان
كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل
والرامي في الحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه و
قدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل
تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ
عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية
الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته
اي ما قتلتموهم اذ قتلتموهم وما رميت انت اذ رميت وجوه
هم بالحصا والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي
ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي
بالمعنى وانت بالاسم **الفصل العاشر** فيما اظهره الله
في كتابه العزيز من كرامته عليه السلام ومكانته عنده
وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك
ما نصه سبحانه تعالى من قصة الاسراء في سورة سبحان
الذي والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته
وقربه ومشاهدته ما شاهده من العجائب ومن ذلك
عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس

وقوله

وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله تعالى الا تنصروه
فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من
اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ
على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار
وما ظهر لهم في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة
سراقة بن مالك حسبما ذكره اهل الحديث والسير في
قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله
بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير
وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل
المعرفة ثم اجاب عنه تعالى عدوه ورد عليه قوله فقال
ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر
الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل
السبع المثاني السور الطوال الاول والقرآن العظيم
ام القرآن وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن
العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القرآن من امر
ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك
نبأ القرآن العظيم وقيل سميت ام القرآن مثاني لا

لانها تنتهي في كل ركعة وقيل بل الله استفتح بالحمد صلى
الله عليه وسلم وخص به امته دون الانبياء عليهم السلام
وسمي القرآن مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني
اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة
والولاية والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر
الاية وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين كافة للناس
بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا الاية قال الفقيه القاضي رحمه الله فهذه من خصائصه
وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق
كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل
التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر
فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره
اولى من اتباع رأي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في
الحرمة كالامهات وحرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية
ولانهن له ازواج في الآخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به
الآن لمخالفته المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل

واشار

واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي
لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم تسليما
الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب
لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم
ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي
اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد
فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما
يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما
الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في
جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه
وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته
وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما
تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه و
مسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة
بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك
طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة
واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والآداب الشرعية
من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد

والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة
والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة
وأخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه
الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم
لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في
أصل الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء الله وتكون هذه الأخلاق
دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ولكنها كلها
محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن
اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها فصل قال القاضي الفقيه
رحمه الله إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا
الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل
عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو
سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له
بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال
رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال
إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة
إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة
والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي
والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة

والمقام



والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود
والصلوة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة
ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند
ذي العرش والطاعة ثمة والأمانة والهداية ورحمة للعالمين
وإعطاء الرضا والسؤال والكوثر وسماع القول و
إتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع
الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد
بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن
العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله وصلوة الله والملائكة
والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال
عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء
الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل
وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب
والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وإبراء الآلام
والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا
مانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد له في الدار الآخرة
من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى
والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها
الوهم فصل فإن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع



بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا
واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال
الكمال مذهبا جميلا شوقتني ان اقف عليها من اوصافه صلى
الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف
في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال
التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام
حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة
الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها
وتناسب اعضائه عليه السلام في حسنها فقد جاءت
الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس
بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين
وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس
ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن
فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم من انه عليه
السلام كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب
الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث
اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم
المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل
رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق

المسربة



المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد
ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى
الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل
سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور
يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم
متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء رضي الله عنه ما رأيت
من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيئا احسن
من رسول الله عليه السلام كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك
يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه وقال له
رجل كان وجه رسول الله عليه السلام مثل السيف
قال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد رضي
الله عنها في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد
واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة
رضي الله عنه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال
علي رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه
معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله والاحاديث
في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا
في بسط وصف نكت ما جاء فيها وجملة ما فيه الكفاية في القصد

الى المطلوب يتفق عليه هنالك ان شاء الله تعالى .
وضعها واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن
الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص
لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر
وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغير
واحد قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو
احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن
سليمان عن ثابت عن انس رضي الله عنهم قال ما شممت
عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى
الله عليه وسلم مسست خده قال فوجدت ليده بردا وريحا
كانما اخرجها من جونة عطار وقال غيره مسها بطيب ام لم
يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده
على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها نام
رسول الله عليه السلام في دار انس فعرق فجاءت
امه رضي الله عنها بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها عليه السلام
عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب
وذكر البخاري رحمه الله في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله
عنه لم يكن النبي عليه السلام يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف
انه عليه السلام سلكه من طيبه وذكر اسحاق بن راهويه

ان

ان تلك كانت رائحته بلا طيب عليه السلام وروى المزني
عن جابر رضي الله عنه اردفني النبي عليه السلام خلفه فى
التقمت خاتم النبوة بفي فكان ينم علي مسكا وقد
حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله عليه السلام انه كان
اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه
وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة واسند محمد بن سعد
كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت للنبي عليه السلام انك تاتي الخلاء فلا نرى لك
شيئا من الاذى فقال يا عائشة اوما علمت ان الارض
تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر
وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة
الحدثين منه عليه السلام وهو قول بعض اصحاب الشافعي
حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى
القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه
البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم
من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه عليه السلام لم يكن
منه شيء يكرهه ولا غير طيب ومنه حديث علي كرم الله وجهه
ورضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت
انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا

ومنها قال وسطعت منه ريح طيبة لم يجد اطيب منها قط و
مثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبّل النبي عليه السلام بعد
موته ومنه شرب مالك بن سنان رضي الله عنه دمه يوم
احد ومصّه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له و
قوله لن تصيبه النار ومنه شرب عبد الله بن الزبير رضي الله
عنه دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل
لهم منك ولم ينكره عليه وقد روي نحو من هذا عنه عليه السلام
في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا
ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث
هذه المراة التي شربت بوله عليه السلام صحيح الزم الدارقطني
مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة رضي الله
عنها بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم
رسول الله عليه السلام قالت وكان لرسول الله عليه السلام
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل
فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه
فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى
حديثها ابن جريج وغيره وكان عليه السلام في بعض الروايات
قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن امه آمنة انها قالت
ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت

فرج رسول الله عليه السلام قط وعن علي رضي الله عنه او
صاني النبي عليه السلام لا يغسلني غيري فانه لا يرى احد عورتي
الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له
غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه عليه السلام
كان محفوظا **فصل** واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه
وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية
انه عليه السلام كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل
تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة
مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره
من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا
مطالعة للكتب منه عليه السلام لم يمتر في رجحان عقله و
ثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحققه
وقد قال وهب بن منبه رحمه الله قرأت في احد وسبعين
كتابا فوجدت جميعها ان النبي عليه السلام ارجح الناس
عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها
ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى
انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم
الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله

عليه السلام اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى
من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي
الموطا عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه
عن انس في الصحيحين وعن عايشة رضي الله عنها مثله
قالت زيادة زاده الله اياها في حجته وفي بعض الروايات
اني لانظر من وراي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني
لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد
عن عايشة رضي الله عنها كان النبي عليه السلام يرى في
الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى
الله عليه وسلم للملايكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى
صلى الله عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة
حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه عليه السلام كان يرى في
الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على روية العين
وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى
العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص
الانبياء وخصالهم صلى الله عليهم وسلم كما اخبرنا ابو
محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه ثنا ابو الحسن المقري
الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها ثنا الشريف
ابو الحسن علي بن محمد الحسني ثنا محمد بن محمد بن سعيد ثنا محمد

بن

بن احمد بن سليمان ثنا محمد بن محمد مرزوق ثنا همام ثنا الحسن
عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي عليه السلام قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان
يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا
يبعد على هذا ان يختص نبينا عليه السلام بما ذكرناه من هذا
الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من آيات ربه الكبرى وقد
جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى
الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده
ثلث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله عليه السلام وقال ابو هريرة
ما رايت احدا اسرع من رسول الله عليه السلام في مشيه كانما
الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته
ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى
تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل
الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع و
ايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف
اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب
فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في
منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن

عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل وسيرة علمهم ذلك و
تحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد
ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن
حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي و
غيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان
ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاها
لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة لهم من
الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لبني نهد اللهم بارك لهم
في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد
وبارك له في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى
الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني
نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في
الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم
الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس
لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق
ولا تأكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه
الربوة ومن كتابه عليه السلام لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة
والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط

ولا

ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم
بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه
بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل
مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال … فاين هذا من كتابه
عليه السلام لانس رضي الله عنه في الصدقة المشهورة لما
كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم
وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا
رسول الله عليه السلام بلغتنا وقوله عليه السلام في حديث
العامري حين سأله فقال له النبي عليه السلام سل عنك اي
سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها
الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله عليه السلام المسلمون
تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم
وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير
في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له والناس معادن وما
هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم

ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله عليه
السلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان
احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن
اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقوله عليه السلام لعله كان
يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند
الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله
اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق
الناس بخلق حسن وخير الامور اوسطها وقوله احبب
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله عليه السلام
الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسئلك
رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي
وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني
بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم
اني اسئلك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء
والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته
وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل
من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر
قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد

ان

ان يفرغ في قالبه عليها كقوله عليه السلام حمي الوطيس وقوله
مات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ
بغيره في اخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به
الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه رضوان الله عليهم
ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن
بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش
ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك قوة عارضة البادية وجز
التها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد
الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت
ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر
كأن منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى
الله عليه وسلم فصل قال القاضي رحمه الله واما شرف
نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل
عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه عليه السلام نخبة
بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب و
اعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد
الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين
بن محمد الصدفي ثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف
ثنا ابو ذر عبد بن احمد ثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق

وابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة
بن سعد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري
عن ابي هريرة رضي الله عنهم ان رسول الله عليه السلام
قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن
الذي كنت منه وعن العباس رضي الله عنه قال قال النبي عليه
السلام ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم
ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من
خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن
الاسقع رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث
صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنه رواه الطبري انه عليه
السلام قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار
بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا
ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم
فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب
فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل

ان

ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه
فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم وجعلني
في صلب نوح وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله ينقلني
من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين
ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر
العباس المشهور في مدح النبي عليه السلام المشهور فصل
واما ما تدعو ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة اضرب
ضرب الفضل في قلته وضرب في كثرته وضرب تختلف الاحوال
فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاق وعلى كل حال عادة
وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح
بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على
النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار
الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس
وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع
الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان
كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء و
الفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في
غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا

ما يعلم ضرورة ولو جاءت بهذه ونقل متواترا من الكلام الائمة
المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها
وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد
عليها اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي
عليه السلام قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا
يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط
احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقرائتي عليه ثنا ابو
الفضل الاصبهاني ثنا ابو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا
بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان
يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء
شرا من بطنه حسب المسلم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة
فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم
من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك
سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا
فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه عليه السلام انه كان
احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة
رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي عليه السلام شبعا قط
وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه

اكل

اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا الحديث
بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله صلى
الله عليه وسلم ظنه اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ
رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به
فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة
ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة و
خرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح
العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله عليه السلام اما انا
فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس كالمتربع
وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس
على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم
انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد آكل
كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء
الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم
كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال عليه
السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه صلى الله عليه
وسلم على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب
الايسر اهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة
حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال

فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع
الافاقة ولم يغمره الاستغراق **فصل** والضرب الثاني ما يتفق
التمدح بكثرته والتفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه
شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته
عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية اما في الشرع فسنة ماثورة
وقد قال ابن عباس رضي الله عنه افضل هذه الامة اكثرها نساء
مشيرا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا
فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر اللذين نبه عليهما عليه السلام بقوله من كان ذا طول فليتزوج
فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء رضوان الله عليهم
مما يقدح في الزهد قال سهل ابن عبد الله قد حببن الى سيد
المرسلين فكيف نزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد
الصحابة رضي الله عنهم كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي
في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير
واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من
الفضائل وهذا يحيى ابن زكريا عليهما السلام قد اثنى عليه انه
كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما نعده فضيلة وهذا عيسى
عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء
الله تعالى على يحيى عليه السلام بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم

بالعجز

بالعجز عما نعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو
كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه السلام
بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له
بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه
انه كان معصوما من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها و
قيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء
فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما
الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام
او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة
في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر
عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا
وهي درجة نبينا عليه السلام الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة
ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه
لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه
هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه السلام
حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء
والطيب اللذين هما من امور دنيا غيره وان استعماله لذلك ليس
لدنياه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء

الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه
ويحرك اسبابه وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة
جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين
الحالين فقال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى
عليه السلام يحيى وعيسى عليهما في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة
بالقيام بهن وكان عليه السلام ممن اقدر على القوة في هذا و
اعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا
عن انس انه عليه السلام كان يدور على نسائه في الساعة من الليل
والنهار وهن احدى عشرة وقال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة
ثلثين نحوه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاووس اعطي
عليه السلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم
وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع
وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب
وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه كان في ظهر
سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكانت له ثلث مائة امراة
وثلث مائة سرية وحكى النقاش وغيره سبعمائة امراة وثلثمائة
سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده
تسع وتسعون امراة وتمت بزوجة اوريا مائة وقد نبه على ذلك

في

في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع
بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه
فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمته في القلوب وقد قال
تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة لكن
آفاته كثيرة فهو مضرة لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه
من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم
العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة
والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم
يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى
اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة
سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره
كما روي عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود رضي الله
عنه ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له النبي عليه السلام
هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره
بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء
والكرامة في الدنيا والآخرة فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة
سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم

بابه فصل واما الضرب الثالث منهما فتختلف الحال في التمدح
به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله فكثرة المال وصاحبه
على الجملة يعظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجته وتمكن
اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله
وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة
من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه
في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله
والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم
وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل
اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره
وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه
وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد
من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما
بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن
مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي
غني بتحصيل فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء

فانظر

فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده
قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم
تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته عليه السلام بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجبيت اليه
من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته
جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه
درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما
يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا
ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها
لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام فقسمها وقال الآن
استرحت ومات عليه السلام ودرعه مرهونة في نفقة
عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه
ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان عليه السلام يلبس ما وجده
فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ
ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست
من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود
منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير
مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد

ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود
الى الفخر بكثرة الموجود ووفور المال وكذلك التباهي بجودة المسكن
وسعة المنزل وتكثير الآلة والخدم والمركوب ومن يملك الارض و
جميع ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية
ومالك للفخر بهذه الفضيلة ان كانت وفضيلة زائدة عليها في
الفخر ومعرقا في المدح باضرابه عنها وزهده في فائتها وبذلها في
مظانها فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل
صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه
واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة
للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة
بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا
عليه السلام على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى
اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه
ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه

مثله

مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته
واول فطرته لم تحصل باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي
وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء عليهم السلام ومن
طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف
من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات
الله عليهم بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا
العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا
قال المفسرون اعطى الله يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه
وقال معمر كان ابن سنتين او ثلث فقال له الصبيان لم لا تلعب
فقال ما للعب خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله
صدق يحيى بعيسى عليهما السلام وهو ابن ثلث سنين فشهد له
انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت
ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له
وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه
بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول
من قال ان المنادي عيسى عليه السلام ونص على كلامه في مهده
فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان عليه السلام
وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به ابوه

داود عليهما السلام وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي
الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون
واخذه بلحيته وهو طفل قال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا
ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره
وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد
ابراهيم صلى الله عليه وسلم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله
ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل
فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار
ومحنته كانت وهو ابن ستة عشر سنة وان ابتلاء اسحق
عليه السلام بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال
ابراهيم عليه السلام بالكواكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة
عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف عليه السلام وهو صبي عندما هم
اخوته بالقائه في الجب بقوله واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية
الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان
امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولد
حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في
حديثه لما نشات بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء
مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم
يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف

في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم
بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة
ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما
وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون
جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى
كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة
او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب
يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها
وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق
له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة
فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة
في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو
والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقد قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجراءة والجبن غرائز
يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل اما اصل فروعها
وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم

والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة و
الاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل و
تجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه عليه السلام منه ومن العلم الغاية
التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه
متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع
كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التورية
والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها
وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب
النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه
عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء
الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم
ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى
شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته
نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد القضايا اذ مجموعها
ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله عليه السلام
كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه

عليه

عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال
تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت
العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف
يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع
المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة
توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند
الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو
فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه
وسلم فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سال جبريل عليه السلام
عن تاويلها فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب ثم اتاه فقال
يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الاية وقال تعالى فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الاية وقال
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يوثر من
حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه
هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا و
على اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي
التغلبي وغيره قالوا ثنا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد القاضي

وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن
ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما
خير رسول الله في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما
فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج
وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شقا شديدا وقالوا لو دعوت
عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم
اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا
فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان
تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل
ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم
اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم
اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد
ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم

بجهلهم

بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله
ووعظ نفسه وذكره بما قاله فقال ويحك فمن يعدل ان لم
اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله
ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى
الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون
في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم
والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله عز وجل فسقط
السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من
يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه
فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه
عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من
الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي
اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ
عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في
جهته عليه السلام قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث
ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه
جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه عليه

السلام ثم قال يا محمد احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي
عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى
الله عليه وسلم وقال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك
يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير
وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم
الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب
خادما ولا امرأة وجي اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى
الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي
وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه
عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب
مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم
يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا
منك احوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال
عليه السلام لقد بقي من اجله ثلث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده
عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول
ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد الا اثنتين
لم اختبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فاختبرته

بهذا

بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه
عند المقدرة اكثر من ان نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح
والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على
مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة
معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في
استيصال شأفتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح
وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال
عليه السلام اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم وهو ارحم الراحمين الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس
هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الآية وقال
صلى الله عليه وسلم لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب
اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم عنه ولاطفه في القول
ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي
انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا صلى الله عليه
وسلم وعلى اله فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة
وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس

فعفا عنه

فيما يعظم خطره ونفعه وسموه انفسا بحوزته وهو ضد النذالة والسماحة التجافي
عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء
سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير
وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا
وصفه كل من عرفه عليه السلام حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي
رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد الباجي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم
الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي قالوا ثنا ابو عبد الله الفربري
ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن
عبد الله رضي الله عنه يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء
فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس رضي
الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما
كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير
من الريح المرسلة وعن انس رضي الله عنه ان رجلا سأله فاعطاه
غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء
من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان
مائة ثم مائة وهي كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على
هوازن سبايا ها وكانوا ستة آلاف واعطى العباس رضي
الله عنه من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم

فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها
وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا
شيء قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه
فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول
الله انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله
عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي
وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع
من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا
وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا
لغد والخبر بجوده وكرمه كثير وعن ابي هريرة رضي الله عنه اتى رجل
النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا
وقال نصفه قضاء ونصفه نائل والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه
وسلم كثير وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير
وعلمائهم النحارير وتكلم في الفتوة على رأيهم واصطلاحهم
وهو غاية الكرم والايثار ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فان كل واحد في القيامة يقول نفسي نفسي
وهو يقول امتي امتي **فصل** واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس

عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان النبي
صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف
الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل
لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت
عنه جولة سواه عليه السلام حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي
قال ثنا القاضي سراج ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد الفقيه ثنا محمد
بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن بشار ثنا شعبة عن ابي
اسحق سمع البراء رضي الله عنه وسأله رجل افررتم يوم حنين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء
وابو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول
انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رؤي
يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه
وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه قال
فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها
ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث
وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب
الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر رضي الله عنه ما رأيت

اشجع

اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى ولا افضل من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى
اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه
وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان
من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب
منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس اجود الناس واشجع لقد فزع
اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس
لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران
بن حصين رضي الله عنه ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان
اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين
محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين
افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك
عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله
فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه
وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة

فانقضّ بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا
انتفض بها ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة
تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى
قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي
بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني
فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحياء والاغضاء فالحياء
رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه
خيرا من فعله والاغضاء والتغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات
اغضاء قال الله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي
منكم الآية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه ثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد
المروزي ثنا ابو محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان
انا عبد الله انا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس
رضي الله عنه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء
في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى
الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا
بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل
ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا
ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم
يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل
هذا ويروى ينزعها قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا عن التورية من رواية
ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وروي عنه
عليه السلام انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني
عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط **فصل** واما عشرته وادبه وبسط
خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار
الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان اوسع الناس
صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة
حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته
على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد ابن النحاس ثنا
ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى
ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد
بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد رضي الله

عنهما قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها
فلما اراد الانصراف قرب اليه سعد حمارا وطاء عليه بقطيفة فركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا قيس اصحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت
فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب
امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم
ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه
ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من
جالسه او فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله
حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه
ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس
بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل
عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع
بالتي هي احسن وكان عليه السلام يجيب من دعاه ويقبل
الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس رضي الله عنه
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط

وما قال

وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة
رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن
عبد الله رضي الله عنه ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ
اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان عليه السلام يمازح اصحابه ويخالطهم
ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد
والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر
المعتذر قال انس ما التقم احد اذن النبي صلى الله عليه وسلم
فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده
فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له
وكان من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه
بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه
ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى و
يكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه
حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس
اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ
عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه
قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث رضي الله عنه
ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن انس كان خدم المدينة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى
الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى باناء الا غمس يده فيها وربما كان
ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك **فصل** واما الشفقة
والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من
اسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن
فورك حدثنا الفقيه ابو محمد بن عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي
عليه قال حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري نا عبد الغافر
الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن
الحجاج ثنا ابو الطاهر انا ابن وهب انا يونس عن ابن شهاب
قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال
فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة
من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب ثنا سعيد بن المسيب ان صفوان
قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي
فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه
يسئل منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي
لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا
ثم قام عليه السلام ودخل منزله وارسل اليه فزاده شيئا ثم قال

احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت
فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك
قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك
الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل
رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم
صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها
بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال
لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج
اليهم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته صلى الله عليه
وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض
عليهم كقوله عليه السلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
مع كل وضوء وخبر صلوة الليل وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت
امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان
يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه
وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته

او لعنة فاجعل ذلك زكوة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه
بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال
له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال
لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني
بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله
عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده
ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال
للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال
ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت
عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن
عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال
لها صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق **فصل** واما خلقه صلى الله
عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي
ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه قال ثنا ابو بكر محمد بن محمد ثنا
ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي ثنا
ابو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن طهمان عن
بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله

بن ابي الحمساء رضي الله عنه بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع
قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت
ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت
علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى
بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة
وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على خديجة لما كنت
اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستاذنت
عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن
السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان
حسن العهد من الايمان ووصف بعضهم فقال كان يصل ذوي
رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه
وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما
سابلها ببلالها وقد صلى الله عليه وسلم بامامة ابنة ابنته
زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي
قتادة رضي الله عنه وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه
وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا
مكرمين واني احب ان اكافئهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء
في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت

اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت
قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم
وانا غلام اذا اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه
فجلست عليه فقلت من هذه فقالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن
السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما
فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه
فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه
من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه
بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة
وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي
حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له عليه السلام ابشر فوالله
لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه
صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان عليه
السلام اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين
ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا
فقال له اسرافيل عليه السلام عند ذلك فان الله قد اعطاك
بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق عنه
الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله

بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال ثنا ابو علي الحافظ ثنا
ابو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي شيبة
ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي
مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم
الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما ياكل العبد و
اجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه
مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه
قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم
انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس رضي الله عنه
ان امراة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال
اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى
اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت
من حاجتها قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة
على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير
والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم
على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله

حجا لا ريا فيه ولا سمعه هذا وقد فتحت عليه الارض واهدي في حجه ذلك
مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على
رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه
صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا
تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك
من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي
قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وسياتي الكلام على هذه الاحاديث
بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عائشة رضي الله عنها والحسن
وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته
في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم
نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير وياكل مع الخادم ويعجن
معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضي الله عنه ان كانت
الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه
رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست
بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة
رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى
سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى
يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم

بملوكها

٤٦

بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت
لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله
عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه
وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم
لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل
نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله تعالى فيه
من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على
انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحزبت عند
بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى
الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا
الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله
عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو يعلى
بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ
ثنا ابو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب
عن علي رضي الله عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الآية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن

ثم لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك
يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله
ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه ابا سفيان
فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن
الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم
حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به
قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم ما لمست يده امراة قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه عليه السلام
اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول
الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما
فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد رحمه
الله قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد و
يوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان
اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزا نهاره ثلثة اجزاء
جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين
الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة
من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم

الفزع

الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ
احدا بقذف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري
عن علي رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل
الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من
ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان
يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف
والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني
الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل
ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم
وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ
اجازة وعارضت بكتابه قال ثنا ابو العباس الدلائي انا ابو ذر
الهروي انا عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عبد
الرحمن بن سلام نا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد
عن عمر بن عبد العزيز عن وهب قال سمعت خارجة بن زيد رضي الله
عنه يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد
يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكذلك كان اكثر جلوسه محتبيا وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه

اذا نزع وربما جلس القرفصاء وهو نحو حديث قبله وكان كثير السكوت
لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما و
كلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه
الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤوسهم الطير وفي صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي
هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف
في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان احسن الهدي هدي محمد صلى
الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه كان
في كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال
ابن ابي هالة رضي الله عنه كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير
والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث
حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليها ويقول حبب الي من
دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروءته
صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر
بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال
خصال الفطرة فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار

انتها

٤٨

انتهى هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد
سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله
عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو
ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاص و
الحسين بن محمد بن الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا نا
احمد بن عمر قالوا ثنا ابو العباس الرازي قال ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن
سفيان ثنا ابو الحسين بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو
معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله
عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام تباعا من
خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين
ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عائشة
رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما
ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته
وارضا جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي
شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف وقال لي اني عرض علي ان
يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي
اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل عليه السلام
نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه

الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل
ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال
له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله
عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر
والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير
وعن عائشة وابي امامة وابن عباس رضي الله عنه نحوه قال
ابن عباس رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو و
اهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس رضي الله عنه
ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا
خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي الله عنها
انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة رضي الله
عنها كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه
ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتم لي الليلة
فذكرنا ذلك له فقال ردوه لحاله فان وطأته منعتني الليلة من صلاتي
وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن
عائشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف نبي الله شبعا قط ولم
يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان
ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه

ولو شاء

ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت
ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة
ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني
استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء
هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا
شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه واما خوفه ربه وطاعته
له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو
محمد بن عتاب بقراءتي عليه قال ثنا ابو القاسم الطرابلسي ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا محمد بن
اسمعيل ثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد
بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها
موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على
الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت اني شجرة



نفقه في هذا الكلام ووددت اني تعقد من قول ابي ذر نفسه
وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له
اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون
عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة رضي الله عنهما وقالت
عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة
وايكم يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم
وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا
نائما الا رايته نائما وقال عوف بن مالك رضي الله عنه كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي
فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال
ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول
سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم
قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة
رضي الله عنه مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين نحوا منه
وقال حتى قرا البقرة وال عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي
الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القرآن ليلة
وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه اتيت رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل وقال ابن ابي هالة
كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له
راحة وقال عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي
سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل
ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي
والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري
والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي
والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث اخر وثمرة فؤادي
في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي   اعلم وفقنا الله واياك
ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم من
كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن
هي في هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع
الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين
وقد قال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر
ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم
عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة

رضي الله عنه رأيت موسى فاذا رجل ضرب من الرجال كانه من رجال شنوءة
ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه كانما خرج من
ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم
به وقال في حديث آخر في صفة موسى عليه السلام كاحسن ما انت راء
من أدم الرجال وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله تعالى من بعد لوط عليه السلام نبيا الا في ذروة من قومه
ويروى في ثروة اي في كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة و
رواه الدارقطني في حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا
حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم
صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب عليه السلام	ذروة قومه
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب
بقوة الى قوله تعالى ويوم يبعث حيا وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى
الى الصالحين وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل
عمران الآيتين وقال في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال
تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله
آتاني الكتاب الى قوله ما دمت حيا وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا
حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه

فوهب لي

فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وقال في وصف جماعة
منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من استأجرت القوي
الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله تعالى فبهداهم اقتده
فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم
والنبوة وقال تعالى فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد
فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان صادق
الوعد الآيتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان عليه السلام
نعم العبد انه اواب وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود عليه السلام انه
اواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وقال عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني
حفيظ عليم وفي موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا
وقال عن شعيب عليه السلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين
وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وقال تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال تعالى
انهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية قال سفيان رحمه الله
هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم محاسن

اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك احاديث كثيرة كقوله
صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث
انس رضي الله عنه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
وروي ان سليمان عليه السلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره
الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة
ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا راس العابدين وابن محجة
الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر
الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف عليه السلام ما لك
تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع وانسى الجائع
وروى ابو هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم خفف على
داود القرآن فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل
ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يديه قال الله تعالى والنا له الحديد
ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان عليه السلام سال
ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال صلى
الله عليه وسلم احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام
الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام
سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف
ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه

بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء
من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه
وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا
يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى
عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار
وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام
وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه
السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه
من الهزال وقال صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبياء قبلي
يبتلى بالفقر والقمل وكانوا اذ ذاك احب اليهم من العطاء اليكم
وقال عيسى عليه السلام للخنزير اذهب بسلام فقيل له في
ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق بسوء وقال مجاهد كان
طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله تعالى حتى اتخذ الدمع
مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل
بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب
كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم عليهم
السلام في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق
وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا

تحققت الى ما جدة كت جهلة الملحدين والمعتدين فحاش لف
هذا فقد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له عليه
السلام وجلينا من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا
الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده
الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا
اتينا بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في
في ذلك بقل من كثر وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذا
الفصل بذكر الحديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله
واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن
محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال
ثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءة عليه اخبرنا
الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسين النيسابوري
والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسين المحمدي
والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا ثنا ابو
القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال انا ابو سعيد
الهيثم بن كليب الشاشي قال انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ
قال ثنا سفيان بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه

قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين
رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن
ابي طالب رضي الله عنهما قال سألت خالي هند بن ابي هالة قال
القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن
احمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل
ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا انا ابو علي الحسن بن
محمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي قراءة عليه فأقر به قال انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن
الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن
علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال انا اسمعيل بن
محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي
طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه
موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين
رضي الله عنهم قال قال الحسن بن علي رضي الله عنهما واللفظ بهذا
السند قال سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها
شيئا اتعلق به فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما
مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع
واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته

وقف والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع
الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب
اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتامله اشم كث اللحية ادعج
سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان
عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك
سواء البطن والصدر فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين
ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر
يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك اشعر الذراعين
والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن
الكفين والقدمين وسائل الاطراف او قال شائل الاطراف
سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا
زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى
كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف
نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق
اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليس له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتح الكلام و
ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا
تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة

وانا دقت

وانا دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقوم
لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا
ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث
اتصل بها فضرب براحته اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض
واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل
حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته
فوجدته قد سبقني اليه فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا
قال الحسين رضي الله عنه سالت ابي عن دخول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في
ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلثة اجزاء جزءا لله
تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين الناس
فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا وكان
من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على
قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم
ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسالته
عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب
وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه
من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله

وقدمه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال
في حديث سفيان بن وكيع يدخلون رواداً ولا يتفرقون الا
عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه
كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخزن لسانه الا فيما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل
قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير
ان يطوي عن احد منهم بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسأل
الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح
ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى
غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة
واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته
عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى
عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس
ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه منه من جالسه او فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد
وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في

الحق

الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى
صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وفي هذه
الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه
فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل
الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش
ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك
نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث
كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا
ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت
تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له
حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب
مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رأيتم
صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ
ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا
انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته
صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر

والمتغير والمتعثر في ما يعتبره فتى تسوية المنظر والاستماع في
الكنس وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم
في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع
أخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي
بما أصلح أمته والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة انتهى الوصف
بحمد الله وعونه في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله
المشذب أي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر
ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كأنه مشط فتكسر قليلا
ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد أن انفرقت
من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة ويروى عقيصته
وأزهر اللون نيره وهو معنى قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض
الأمهق ولا بالآدم والأمهق هو الناصع البياض والآدم الأسمر
اللون ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب أي فيه حمرة وقيل
أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها والحاجب الأزج
المقوس الطويل الوافر الشعر والأقنى السائل الأنف المرتفع
وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف والقرن اتصال شعر
الحاجبين وضده البلج وقد جاء في حديث أم معبد وصفه بالقرن
والأدعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل
العين وأسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الفم

والشنب

والشنب رونق الأسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد
في أسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا والمسربة خيط
الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل
الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم
ولا بالمكلثم أي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء
البطن والصدر أي مستويهما ومشيح الصدر إن صحت هذه
اللفظة فتكون من الإقبال وهو أحد معاني أشاح أي أنه كان
بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه
يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر أي ليس بمتقاعس الصدر ولا
مفاض البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض
كما وقع في الرواية الأخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤوس
العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش رؤوس
المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين
لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الأطراف أي طويل
الأصابع وذكر ابن الأنباري أنه روي سائن الأطراف وقال سائل
سائن بالنون بمعنى إن صحت الرواية بها وأما على الرواية
الأخرى وسائر الأطراف فإشارة إلى فخامة جوارحه كما وقعت
مفصلة في الحديث ورحب الراحة أي واسعها وقيل كنى به عن
سعة العطاء والجود وخمصان الأخمصين أي متجافي أخمص القدم

وهو الموضع الذي لا تناله الارض في وسط القدم ومسيح القدمين
اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة رضي
الله عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له
اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح
بن مريم عليهما السلام اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا
ايضا يخالف قوله شثن القدمين اي املسهما والتقلع رفع
الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون
الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع
فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته
وكل ذلك برفق وتثبت ودون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب
وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح
بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما
يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه
وطالبين لما عنده ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم
يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد
والعدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن
الاماكن اي لا يتخذ للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه عليه السلام

عن هذا

عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد
صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته
اي لا يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت
ويرفدون ويعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل
الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من
مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يستفزه يستخفه وفي حديث اخر في صفته منهوس العقب
اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها الباب الثاني
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به في الدارين من كرامته صلوات الله وسلامه عليه لا خلاف
انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله
تعالى واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة
في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا
معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا فصل الاول فيما ورد
بذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل
وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب
وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل
اذنا بلفظه قال ثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم
بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم هو ابن عقيل

عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى البكائي ثنا عبيس عن الاعمش
عن عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني
في خيرهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب الشمال
فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا
فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى اصحاب الميمنة واصحاب
المشأمة والسابقون وانا من السابقين وانا خير السابقين
ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى و
جعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله
ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا فذلك قوله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الاية وعن ابي سلمة عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك
النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس
رضي الله عنه انا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن
عباس رضي الله عنه انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر

وعن

وعن عائشة رضي الله عنها عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت
مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني
اب افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه
فقال له جبريل امحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه
فارفض عرقا وعن ابن عباس رضي الله عنه صلى الله عليه
وسلم لما خلق الله ادم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني
في صلب نوح في السفينة وقذفني في النار في صلب
ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه من قبلها طبت
في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت
البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب
السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من صالب
الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق في ابيات اخر وروى
عنه عليه السلام ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو
هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم انه قال اعطيت
خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل

من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي
قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية
بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض
علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى
الاحمر والاسود وقيل الاسود العرب لان الغالب على الوانهم
الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم
وقيل الحمر الانس والاسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة
رضي الله عنه نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم
اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدي وفي رواية
اخرى وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه انه
قال صلى الله عليه وسلم اني فرطكم وانا شهيد عليكم واني والله
لانظر الى حوضي الآن واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني
والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا
فيها وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم و
جوامعه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عباس
رضي الله عنه بعثت بين يدي الساعة وفي رواية ابن وهب انه
عليه السلام قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل يا رب
اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا

واعطيت

واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى
اعطيتك خيرا من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمي مع
اسمك ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك
ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت
قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها
لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول
من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا
ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر
والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي المغانم
واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من
حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عليه السلام ما من نبي من
الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما
كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته عليه السلام ما
بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام ذهبت للحين
ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن
بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نبذته
وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات

وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته
واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم
ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله و
المؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من
نهار وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان
ادم لمنجدل في طينته دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى بن
مريم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ان الله فضل محمدا
صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله
عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله قال لاهل السماء
ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية وقالوا فما فضله
على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الاية وقال لمحمد عليه السلام وما ارسلناك الا كافة للناس
وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد
روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك
فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم

رسولا

رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها
نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن
بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست من
ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث
من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه
علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه
وقال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا انا بخاتم في يده من
نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده
مكانه وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية
جبريل عليه السلام قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران
واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من
امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني
بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته بهم فوزنتهم ثم قال
دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر
ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا
يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك
وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك
وملائكته قال وفي حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني

فلما تم اري الامر عاينه وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمر
قندي وغيرهما ان آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم
بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله تعالى
من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه
اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله
تاويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب وفي رواية الآجري فقال
ادم عليه السلام لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم
قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي وعزتي
وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال
وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروي عن سريج بن
يونس انه قال ان الله ملائكة سياحين عبادتها كل دار
فيها احمد او محمد اكراما لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن
قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد
رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله
عنه في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب
عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار

كيف

كيف يضحك عجبا لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي
الله عنه على باب الجنة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله لا اعذب
من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله
محمد رسول الله تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه
شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه
مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون [illegible]
ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم
القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة
اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه
عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما
ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون
في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى
الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام
خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم

تفضيلا وفضلنا في على نسائكم تفضيلا الحديث
في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة
الانبياء عليهم السلام والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات
ربه الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم قصة الاسراء
وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه السلام الكتاب
العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الاية وقال تعالى والنجم اذا هوى الى
قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في
صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القرآن وجاءت به
بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا عليه السلام فيه احاديث
كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره
يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي
عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا
ثنا ابو العباس العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد
الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن
فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس بن
مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس

وربطته

وربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من
لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج
بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح
لنا فاذا انا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة
عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا
انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي
ودعا لي بخير ثم قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج
بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا
بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا
ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها

من امر الله ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان
ينعتها من حسنها فاوحى الله الى ما اوحى ففرض على خمسين
صلوة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على
امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف
فان امتك لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم
قال فرجعت الى ربى فقلت يا رب خفف عن امتى فحط عنى
خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا فقال ان امتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل
ارجع بين ربى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات
كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا فان عملها كتبت سيئة
واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه قال
القاضى رحمه الله جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس
ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره
عن انس رضى الله عنه تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك
بن ابى نمر فقد ذكر فى اوله مجىء الملك له وشق بطنه وغسله بماء

زمزم

زمزم وهذا انما كان وهو صبى وقبل الوحى وقد قال شريك فى حديثه
وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت
بعد الوحى وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل
قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة
ايضا مجىء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة
من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود فى القصتين وفى ان
الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة
وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل
اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن
انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فرج سقف بيتى فنزل جبريل ففرج صدرى
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا
فافرغها فى صدرى ثم اطبقه ثم اخذ بيدى فعرج بى الى السماء
فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك
بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف
فى ترتيب الانبياء فى السموات وحديث ثابت عن انس
اتقن واجود وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات نذكر
منها نكتا مفيدة فى غرضنا منها فى حديث ابن شهاب وفيه

قوله ففتح له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم
فقالا له والابن الصالح وفيه في طريق ابن عباس رضي الله عنه
ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن
انس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى انتهيت سدرة المنتهى
فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي رواية
ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى
اليها كان احد من امتك خلا على سبيلك هي السدرة المنتهى
يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة
يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق
فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى
السدرة ما يغشى فقال الله تبارك وتعالى له عليه السلام سل
فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت
موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد و
سخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن
والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه
والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما
سبيل فقال له ربه قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية

محمد

محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم
الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم
بعثا واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك
وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث مالك بن صعصعة فلما
جاوزته يعني موسى عليه السلام بكى فنودي ما يبكيك فقال رب
هذا غلام بعثته بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخل
من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رأيتني في جماعة من الا
نبياء فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن
النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث ابي
هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل
فربط فرسه الى الصخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت
الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول
الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه
الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح
الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم
وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر كلام
النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا اثنى على ربه فقال

كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة
للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي
الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل
امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح
لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فقال ابراهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج
به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وانتهى به الى سدرة المنتهى وهي
في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها
واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال فراش من ذهب وفي الرواية الاخرى قال فاعطي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا اعطي الصلوات الخمس و
اعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته
المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل
عليه في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى في
السابعة قال بتفضيل الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه
الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي
عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء
عليهم السلام ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه
السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد
في واحدة وقعدت في الاخرى فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين
ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب ~~حتى سدت الخافقين~~
طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله
علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الاعظم واذا دون الحجاب رفرفة
الدر والياقوت ثم اوحى الله الى عبده ما اوحى وذكر البزار عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله
الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها
فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد
اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى
الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من
الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل
من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان
هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا
اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من
وراء الحجاب صدق عبدي لا اله الا انا وذكر مثل هذا في
بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة

حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل
السماء فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين
يومئذ اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على
اهل السموات والارض قال الشافعي رضي الله عنه فانه في هذا
الحديث ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم
المحجوبون والباري سبحانه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط
بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم
وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله جل وعز
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب
وافرخ ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من
وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه و
عظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول
جبريل عليه السلام عن الملك الذي يخرج من ورائه ان هذا
الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا
الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة
المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله
لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي
حقائق معارفه مما هو اعلم به كما قال واسئل القرية اي اهلها

وقوله

وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع
في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان
محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن
بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم
فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراؤه بروحه
او جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء
بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء عليهم السلام
حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه
خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها
ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم
وقول انس رضي الله عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة
ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم
السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا
هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة و
عمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري
وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب

وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد
وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة رضي الله عنها وهو
قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر
المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت
طائفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى
السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد غاية الاسرا الذي
وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى
الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قالوا هؤلاء
ولو كان الاسرا بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ
في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام
لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته فيه وانكر ذلك حذيفة
بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي
رحمه الله ورضي عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله انه
اسرا بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار
والاعتبار فلا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند
الاستحالة وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان
مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده

الكفار

الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به
اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره
انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته
بالانبياء عليهم السلام ببيت المقدس في رواية انس او في السماء
على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح
السما فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم
معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى
في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل
عليه السلام بيدي فعرج بي الى السما الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت
لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه
دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس رضي الله عنه
هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلثا
فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا انا بدابة
وذكر خبر البراق وعن ام هانئ ما اسرى برسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخيرة ونام
بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم

اللون والا خبرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت
ثم فيه وقيل في الغداة لقومه الآن كما ترون وهذا يشهد انه كان بجسمه وعن
ابي بكر رضي الله عنه من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة
في مكانك فلم اجدك فاجاب ان جبريل حملني الى المسجد الاقصى وعن
عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت
ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا ملك قائم معه
آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة
فيحمل على ظاهرها وعن ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم
غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس
رضي الله عنه اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي
هريرة رضي الله عنه لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن
مسراي فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله
قط فرفعه الله الي انظر اليه ونحوه عن جابر رضي الله عنه وقد روي
عن عمر بن الخطاب وفي حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت
الى خديجة وما تحولت عن جانبها … في ابطال حجة من قال
انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا وفي قوله
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسرى

وقوله فتنة للناس لو كانت رؤيا عين واسراء بالشخص اذ ليس في
الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون
في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد
اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية
الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم
انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم و
اليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة
فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول
حمله والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة
كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله
استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم آخر بعد وصوله
بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول الليلة وانما كان في بعضه وقد
يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من
عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من
مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق
ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون
نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده
وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء عليهم السلام حق تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو هذا فقال

تمس بعض عينيه لئلا تشتغل نفسه بالمحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون
في وقت صلوته بالانبياء ولعله كانت في هذا الاسراء حالات
ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النائم من الا
ضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا
نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا نائم في
الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم
واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم
غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر
شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية
شريك عن انس رضي الله عنه فهي منكرة من روايته اذ شق البطن
في الاحاديث الصحيح انما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة
ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان
بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا
رضي الله عنه قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه
لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن
صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك
وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة ما فقدت جسده
فعائشة رضي الله عنها لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن
حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد

بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام
على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة
في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل
الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك
تطول وليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على
انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها
يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا
فليس حديث عائشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت
لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد
روي في حديث عائشة ما فقدت جسده ولم يدخل بها النبي
صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي
يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه
لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل
فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا
يدل على انها رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا
يقابله قوله ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد
قال اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم
القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه
عليه السلام ما رأته عينه   واما رؤيته عليه السلام

لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضي الله
عنها حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي
عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا ثنا
القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت
بن القاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا
محمود بن آدم ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه
قال لعائشة رضي الله عنها يا ام المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت
لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار
الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن
مسعود رضي الله عنه ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه انه انما
رأى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في
الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس
رضي الله عنه انه رآه بعينه وروى عطاء عنه انه رآه بقلبه
وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر
رضي الله عنه ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه
فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق
وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا
بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى

ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي رحمه الله قيل ان الله تعالى
قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد عليهما السلام فرآه محمد مرتين
وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمر
قندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال
اجتمع ابن عباس وكعب رضي الله عنهما فقال ابن عباس
اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب
حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين
محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي
ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم
ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال
رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت
ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث
وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد
ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا
المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان سأل
ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن
حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى

انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال ابن حنبل رآه بقلبه
وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن
جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الآية عن
ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس
وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى
عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن
عطاء في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري
رحمه الله وجماعة من اصحابه انه عليه السلام رأى الله تعالى ببصره
وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام
فقد اوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض
شيوخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان
يكون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ورحمه والحق الذي
لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في
العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه
السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه
بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من
الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال الله تعالى لن تراني
اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى

من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته
في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على
استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير
مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الابصار لا
ختلاف التأويلات في الآية وليس يقتضي قول من قال في الدنيا
الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل
لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه
الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي
منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن
تراني الآية وقوله تبت اليك لما قدمنا ولانها ليست على
العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو
تأويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق
موسى عليه السلام وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحت
مالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من
سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله تعالى
لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه
من نظر الي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين
ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب

أهل الدنيا وقواهم كونها متغيرة عرضا للآفات والفناء
فلم يكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا في تركيب
آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم أنوار أبصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله
تعالى لم يُرَ في الدنيا لأنه باقٍ ولا يُرى الباقي بالفاني فإذا
كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رُئي الباقي بالباقي وهذا الكلام
حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف
المقدرة فإذا قوّى الله من شاء من عباده وأقدره على
حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر من قوة
بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية
منحاها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم وقد
ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى
عليه السلام رأى الله تعالى فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى
ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله تعالى له واستنبط ذلك بعض أهل
العلم من قوله تعالى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف
تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن
محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا إفاقة و
قوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين

أن الجبل

67

في الجبل أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا
له تعالى إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في
الآيات نص في المنع وأما وجوبه لنبينا والقول بأنه رآه بعينه
فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم
والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس
خبر عن اعتقاده ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية
وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن و
حديث أبي ذر الآخر مختلف مشكل فروي نور أنى أراه وحكى
بعض شيوخنا أنه روي نوراني أراه وفي حديثه الآخر
سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد شيخنا
منها على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد
أخبر أنه لم ير الله تعالى وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله
وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور
المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي
الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم
دنا فتدلى والله قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في
القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين في الباب

اعتقد

دنى فقرب وتدلى اى قرب وقيل هما بمعنى واحد اى قرب
وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس هو الرب دنى من
محمد فتدلى اليه اى امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال
دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه
ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس
هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد ليلة المعراج فجلس عليه ثم
رفع فدنى من ربه قال عليه السلام فارقنى جبريل فانقطعت
عنى الاصوات وسمعت كلام ربى وعن انس فى الصحيح عرج بى
جبريل عليه السلام الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب
العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه
بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة وذكر حديث الاسراء وعن
محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين قال وقال
جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين
وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود
وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب
جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة
والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه
الشك والارتياب قال القاضى ابو الفضل وفقه الله
اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله

فليس

فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرناه عن جعفر
الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبى صلى الله عليه وسلم
من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق
انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى
مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول فى قوله
ينزل ربنا الى السماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال و
اجمال وقبول واحسان قال الواسطى من توهم انه بنفسه دنا
جعل ثم مسافة بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعنى
عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله
قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل
عليه السلام على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل
وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه
وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب و
اظهار التحفى وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتاول
فيه ما يتاول فى قوله من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا
ومن اتانى يمشى اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل المامول

فى ذكر تفضيله فى القيمة بخصوص الكرامة

حدثنا القاضى ابو على ثنا ابو الفضل وابو
الحسين قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجى ثنا ابن على ثنا ابو الفضل

وابو الحسن قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا
الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب
عن ليث عن الربيع بن انس عن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا
لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية
ابن زحر عن الربيع عن انس في غير هذا الحديث انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا
انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء
الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي
الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة رضي الله عنه
فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس
احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم
يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم
فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض
ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر
واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله عنه

انا

انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر
وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين
ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس
يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه
وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين
والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفي حديث
آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال
انهما في امتي يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم
شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به وقوله
عليه السلام انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم
القيمة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة
دون غيره اذ لجا الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد
هو الذي يلجا الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين
البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن
في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجا
الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم

ثنا الالوان دعوى وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت
فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن
عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة
شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من
المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي
ذر رضي الله عنه نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه
ميزابان من الجنة وعن ثوبان رضي الله عنه مثله وقال
احدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما
بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر رضي
الله عنه كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض انس
وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب
الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان
وابو امامة وزيد بن الارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل
بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله
الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء بنت
ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين
في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار
الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين

بحبيب الله

بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن
كريمة بنت احمد ثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ
سماعا عليه ثنا القاضي ابو الوليد ثنا عبد بن احمد ثنا ابو الهيثم
ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله
بن محمد ثنا ابو ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد
عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث آخر
وانه صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد
اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يذكرون فسمع حديثهم فقال
بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا وقال آخر ماذا
باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة
الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم
وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا
وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله
وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب
الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول
شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة

يتذاكرون نخ

واني نخ

فجعل الله سويداء قلبه وسمى قرة المؤمنين ولا فخر وانا اكرم
الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
من قول الله تعالى لنبيه عليه السلام اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب
في التورية انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع
الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة
الاستصفاء وسمي ابراهيم عليه السلام خليل الله لانه يوالي
فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل
الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة
فسمي بها ابراهيم عليه السلام لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه
بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق
ليرمي به في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر
بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل
الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف و
الالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه
بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه
قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون

فها

فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم العداوة تم
ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد
عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما
عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب
او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما
وما خالل بواطنهما من اسرار الهيبة ومكنون الغيوب و
معرفته والاستصفاء لهما والاستصفاء قلوبهما عمن سواه
حتى لم يكن لهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا
يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف
العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة
فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا
لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمد بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة
ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا
غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق عليه السلام المحبة لفاطمة
وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة
لان درجة الحبيب نبينا عليه السلام ارفع من درجة الخليل
ابراهيم عليه السلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب و
لكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق

وهي دون رؤية المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمعنى صنع الارض محبة
لعبده ما تمكنه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتقريبه اسباب القرب
وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه
وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به
ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والا
عراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات له كما قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط
بسخطه ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله قد تخللت مسلك
الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت
حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا فاذا عرفت الخلة وخصوصية
المحبة فاعلم ان للنبي صلى الله عليه وسلم ما دلت عليه الآثار الصحيحة
المشتهرة المتلقاة بالقبول من الامة ويكفي بقوله تعالى قل
ان كنتم تحبون الله الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت
قالت الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على رقابهم هذه الاية قل اطيعوا
الله واطيعوا الرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته
ثم توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فان الله لا يحب الكافرين
وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق

بين المحبة والخلة يطول جملته ثم الى تفضيل مقام المحبة
على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم
الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض والحبيب يصل اليه به من قوله فكان قاب
قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع
من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب
هو الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله
ما تقدم الاية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي
الله النبي فابتدي بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة
حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل
لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال
والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه
على مقصد الحق في هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال
وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فصل في
تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تبارك وتعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما
كتب به الي بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد
الاصيلي ثنا ابو زيد وابو احمد قالا ثنا محمد بن يوسف قال ثنا

محمد بن اسمعيل قال ثنا اسمعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص عن ادم
بن علي سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة
جثى كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع
لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك
يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل
عنها رسول الله صلى الله عليه يعني قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام
يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي
حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك
المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي
حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه المقام المحمود الذي وعده
وعن ابن مسعود رضي الله عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين
العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون
ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع فيه
لامتي وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم
ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين ان يدخل
نصف امتي الجنة وبين الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين

ولكنها

ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة رضي الله عنه قلت
يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد
ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضي الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي
من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق
للامم قبلهم فسالت الله ان يوليني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل
وقال حذيفة رضي الله عنه يجمع الله الناس في صعيد واحد
حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا
سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك
بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجى منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي
ذكره الله وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا دخل اهل النار النار
واهل الجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من الجنة النار فتقول زمرة
النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ويضجون فيسمعهم اهل
الجنة فيسالون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل
يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن
ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره محمد علي بن الحسين عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت

بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال قلت نعم قال فانه مقام محمد
المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث
الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا
المقام المحمود الذي وعده وعن شيبان المقام المحمود هو
الشفاعة في امته يوم القيامة وقال قتادة كان اهل العلم يرون
المقام المحمود وشفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود وهو
مقامه صلى الله عليه وسلم للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة
والتابعين ائمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة في صحيح
الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم وجاءت مقالة في تفسيرها
شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح
اثر ولا سند بنظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر لكن
ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الاثار يرده فلا يجب
ان يلتفت الى سواه انه لم يات في كتاب ولا سنة ولا [illegible]
على القائل به انه في المطلق ظاهر مستنكر من القول وشنعة وفي رواية
انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض
قال عليه السلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون
او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق
عنه عليه السلام ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة
رضي الله عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون

ولا

ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون ادم
عليه السلام فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله
بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته
وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة
فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح
فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون انت اول الرسل الى
اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا
~~ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم~~
ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال
في رواية انس رضي الله عنه ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله
ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه وقد كانت لي
دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم
فانه خليل الله فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي
الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن
فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا وذكر مثله و
يذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى

فإنه كليم الله وفي رواية عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا
فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست لها ويذكر خطيئته
التي أصاب وقتل النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح
الله وكلمته فيأتون عيسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن
عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني
فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا
رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فأخر ساجدا
وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن عليها
يلهمنيه الله وفي رواية وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن يلهمنيها
الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي قال وفي رواية أبي
هريرة رضي الله عنه فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه
واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي
فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من
أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب
ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل وفي روايته وقال فكان ثم
آخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك
واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال
انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة
من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده

بتلك

بتلك المحامد وذكر مثل الأول وقال فيه مثقال حبة من خردل
من إيمان فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه
أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر في
المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع
وسل تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال
ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن
من النار من قال لا إله إلا الله ومن رواية قتادة عنه قال
فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا
من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود وعن أبي بكر وعقبة بن
عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له
وتأتي الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر رواية
أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون
أولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى
الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز
الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية أبي هريرة
رضي الله عنه فأكون أول من يجيز وعن ابن عباس
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم توضع للأنبياء
منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين
يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع

بشفاعتك يا محمد يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم
من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا
ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى
ان خازن النار يقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك
من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق عنه الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء
الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فآخذ
بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية
انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن
يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر وقد اجتمع
من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان شفاعته عليه السلام
ومقام المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين
يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق
والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع
حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة
رضي الله عنهما وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل

من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث
ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب
ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله
وليس هذا لسواه عليه السلام وفي الحديث المنتشر الصحيح
لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم
ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة و
لنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند
الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة
فيما شاءوه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد
بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه في هذا
الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد
ان اؤخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي
صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه
في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن
زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة
بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم
انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها
ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة

المحمود وعظيم السؤل والرغبة بجزاه الله احسن ما جزى نبيا
عن امته وصلى الله تعالى عليه وسلم

فصل

في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر
والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقرائتي عليهما
قالا ثنا ابو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن
ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن
وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب
بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو
بن العاص رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم
صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه وسلم
عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن
سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر
عن ابي هريرة رضي الله عنه الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن
انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب
اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال الكوثر الذي اعطاكه الله

قال

قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن
عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل
وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا
عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن
عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه
الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير
الذي اعطاه وعن حذيفة رضي الله عنه فيما ذكر عليه السلام
عن ربه واعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي وعن
ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال
الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي
رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم
فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثر واجماع
الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث
الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي قال
حدثنا السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم ثنا ابن مثنى ثنا ابن محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة
سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه
وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى

وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لعبد الحديث وفي حديث أبي
هريرة رضي الله عنه أن اليهودي الذي قال لا والذي اصطفى
موسى على البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال تقول ذلك
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي رواية
لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا أقول أن أحدا أفضل
من يونس بن متى وعن أبي هريرة رضي الله عنه من قال أنا
خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود رضي الله
عنه لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفي الحديث الآخر
في أن رجلا فقال له يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم فاعلم
أن العلماء في هذه الأحاديث تأويلات أحدها أن نهيه عن
التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل
إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا
أقول أن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو وإنما هو في الظاهر
كف عن التفضيل الوجه الثاني أنه قاله صلى الله عليه وسلم على
طريق التواضع ونفي الكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض
الوجه الثالث أن لا تفضلوا بينهم تفضيلا يؤدي إلى تنقص بعضهم
أو الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام إذ أخبر الله عنه

عنه بالخبر

عنه بالخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة
وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال الله تعالى عنه إذ أبق إلى
الفلك المشحون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فتوهم
يخيل لمن لا علم عنده حطيطة بذلك عليه السلام الوجه الرابع منع
التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها على
حد واحد إذ هي شيء واحد لا يتفاضل وإنما التفاضل في زيادة
الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف وأما النبوة في
نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور أخرى زائدة عليها ولذلك
منهم رسل ومنهم أولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم
من أوتي الحكم صبيا وأوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات
ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم
هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال أن تكون آياته ومعجزاته أبهر
وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل وأظهر و
فضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلامه
أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته و
اختصاصه وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للنبوة
أثقالا وإن يونس بن متى تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله

عليه وسلم موضع الغنيمة فإذا هام من يسبق إليه بسببها حرج
في نبوته وقدح في اصطفائه وحط من رتبته وهو من عظيم
شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته وقد يتوجه على هذا
الترتيب وجه خامس وهو أن يكون أنا راجعا إلى القائل نفسه
ألا يظن أحد وإن بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ
أنه خير من يونس عليه السلام لأجل ما حكى الله عنه فإن درجة
النبوة أفضل وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه عنها حبة
خردل ولا أدنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا إن
شاء الله فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض

فصل في أسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته

حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه قال ثنا أبو عمر
الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن أصبغ ثنا محمد بن
وضاح ثنا يحيى عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن
مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي
الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب
وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا وأحمد فمن خصائصه تعالى
له أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناء ذكره عظيم شكره
فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل

مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حمد
وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين وأحمد
الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر
في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما
وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح
عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره و
سمى أمته في كتب أنبيائه بالحامدين فحقيق أن يسمى
محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع
آياته فن آخر هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل
زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع
الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى
لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا
لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده
عليه السلام وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم
قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله
أعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي رسالته ح
ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن
سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي
السلمي لا سابع لهم ويقال أول من سمي محمدا محمد بن سفيان

والسميين نقول جل محمد ابن المجد من الاذى وحمى الله كل من تسمى
به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك
احدا في امره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما
واما قوله عليه السلام وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر
في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي
له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما
بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله
وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات من
اتبعه وقوله عليه السلام وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم
النبيين وسمي عاقبا لانه عقب عليه السلام غيره من الانبياء
وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقيل معنى على قدمي
يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى
ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي اي قدامي وحولي
اي يجتمعون الي يوم القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله عليه
السلام لي خمسة اسماء وقيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي
عنه عليه السلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي

وقد قيل

وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس
يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره
لي عشرة اسماء وذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا
رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت
النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه
وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه
بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء عليهم السلام قال داود
صلوات الله عليه اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة
فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه السلام لي في
القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل و
عبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم رضي الله عنه هي
ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي وفي حديث
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان عليه السلام يسمي
لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي
التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح
ان شاء الله ومعنى المقفي معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين
واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه تعالى بانه يزكيهم و
يعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين

رؤوف رحيم وقد قال في التحية صفة امته انها امة مرحومة
وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم
بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى رحمة لامته
ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل امته
امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال
ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن يوم
القيمة ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي
الملحمة فاشار الى ما بعث به من القتال بالسيف صلى الله
عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة رضي الله عنه مثل حديث
ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي
في حديثه عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال انت قثم اي
مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته معلوم
وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته في القران عدة
كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر
والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين
والرؤوف الرحيم والامين وقدم صدق ورحمة للعالمين
ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب
والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة
وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث

واطلاق رسوله

واطلاقا لامة جملة فيه التسمية بالمصطفى والمجتبى وابي
القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي
والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي
وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر
المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود
والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة و
الدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب
وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان
والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين
ومن اسمائه عليه السلام في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو معنى البارقليط — أعني ح
في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب
وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي
ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى
بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد وروي
ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف ووقع
ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته
كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه

السلام وهو الآن عند الخلفا واما الهراوة التي وصف
بها فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في
حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج
فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب
واوصافه والقابه صلى الله عليه وسلم وسماته في الكتب كثيرة
وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروي عن انس انه لما ولد له
ابراهيم جاءه جبريل فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم ومما ذكرنا
منها مقنع ان شا فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به
من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو
الفضل وفقه الله ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول
لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم
يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج
جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا ان
نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء
بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم
وابراهيم بحليم ونوح بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي
ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد
كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم صلى الله عليهم
وفضل محمدا نبينا عليه السلام بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى

السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر
واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ
فيها لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين
اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة
ما لم يظهر لنا الآن منها ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه
المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه
ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد
بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود عليه السلام واحمد بمعنى
اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان رضي
الله عنه بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا
محمد ومن اسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه تعالى في
كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين
ومعنى الحق الموجود المتحقق امره وكذلك المبين اي البين امره
والاهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم
ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال تعالى
حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى قل اني انا النذير المبين
وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما
جاءهم قيل هو محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته

والمبتهج من السعداء بجنته زكي قال التبيين للكاشفي نزل اليهم ومن
اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات
والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا
منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين
بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد معناه العالم وقيل الشاهد على عباده
يوم القيامة وسماه عليه السلام شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك
شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن
اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو و
قيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه كريما بقوله
انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم
ولد آدم ومعنى الكرم حقيقة في حقه عليه الصلوة والسلام ومن اسمائه
تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه
وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع
في اول سفر من التورية عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة
فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه
المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي
النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود عليه السلام بجبار فقال
تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة

بيمينك

بيمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه
الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على
البشر وعظيم خطره ونفى تعالى عنه في القرآن جبرية التكبر
التي لا تليق به فقال تعالى وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى
الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه
المخبر وقال تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن
العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤل
الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل
النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤل الله تعالى فالنبي خبير
بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله
من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم
ومن اسمائه الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب
الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم و
بصائرهم لمعرفة الحق ويكون بمعنى الناصر كقوله تعالى
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم
النصر وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية
الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة رضي الله
عنه وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول

النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه بقدر به وانه ورفع
لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفتاح هو الحاكم او
الفاتح لابواب الرزق والرحمة والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق و
الايمان بالله او الناصر للحق والمبتدي بهداية الامة او المبتدا
المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء
في الخلق واخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور
ومعناه المجازي على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف
بذلك نوح عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف
نبيه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا
شكورا اي معترفا بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجتهدا
في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه
تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة وقد وصف نبيه
صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول
والاخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي
بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلام كنت
اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ومنه قوله عليه السلام نحن الآخرون السابقون وقوله انا
اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع
واول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه
وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه
القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي
العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق
في الحديث الماثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق
المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولي
كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين وقال عليه
السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه
الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القرآن والتوراة
وامره بالعفو فقال تعالى خذ العفو وقال تعالى فاعف عنهم واصفح
وقال له جبريل عليه السلام وقد سأله عن قوله خذ العفو قال
ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة في الحديث المشهور
في صفته عليه السلام ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح
ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد
من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعوا

الى دار السلام ويهدي ثابت الى صراط مستقيم واصل الجميع للبيل
فعيل في التقويم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني تعالى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى وانك لتهدي الى
صراط مستقيم وقال تعالى فيه عليه السلام وداعيا الى الله باذنه فالحق
تعالى مختص بالمعنى الاول فانه تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن
المهيمن وقيل هما بمعنى واحد ومعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق
وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق قوله لعباده
المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في
الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى
الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء
آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن
ومؤمن وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه
السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه
العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم احتوى بيتك المهيمن
من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله
القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين اي يصدق وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي فهذا

بمعنى

بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من
الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس وقد وقع في كتب
الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب
كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذي
يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم
وقال تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى
مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه
تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز
لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر
وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى
وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره
بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من
اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وها انا اذكر نكتة
اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال
بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي

التشبيه ونزهه عن شبه المخلوقية وهو ان يعتقد ان الله جل
سره في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا
يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلق الشرع
على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات
القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه
الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم (المخلوقين)
لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك
بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء
ولقد درج من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات
غير مشبه للذوات ولا معطلة في الصفات وزاد هذه
النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس
كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة
الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة
ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان تكون للذات المحدثة
صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة
رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله
قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع
مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات
وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير

جلب

جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد
ولا بمباشرة ولا معالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه
وقال ان مهما ميزتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم فهو
محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن الى موجود انتهى
اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل ومن
قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول
ذي النون المصري رحمه الله حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة
الله تعالى في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء
صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا
كلام عجيب محقق وفي الفصل الآخر تفسير لقوله ليس كمثله شيء والثاني
تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير
لقوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي
الضلال والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته الباب الرابع
فيما اظهره الله تعالى على يديه عليه السلام من المعجزات وشرفه به من
الخصائص والكرامات قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه رحمه حسب
الناظر ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله
ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين
حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي

وجوده حقاً في زمن من ابطل نسخ الشرائع ورده بل التغيير
لا لاهل ملة المليين لدعوته المصدقين لنبوته لتكون تاكيدا
في حجتهم وثباتاً لا على العالم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا
ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم
قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ
القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة و
اذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة
علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب
مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في
اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم
الى عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس
بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال ثنا ابو
الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي
عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار
ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد
عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله
بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي رضي الله عنه اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا

نبي الله

نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد
بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد رحمه
الله كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله
عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير
قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة
فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة
لثمنه رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا
فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم
ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي
خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي
انه لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول
تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز
الموعود واشهد انه نبي قال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد
منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة رضي الله

عنه لو لم تكن فيه آيات مبينة فلا بد من تلاوة تبينك بالحجة وقد آن
ان تأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعدها في معجزة الانبياء
وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر
على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وصفاته وجميع
تكليفاته ابتداء من دون واسطة الوحي كما حكي عن بعض
الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبليغهم كذا ويكون
تلك الواسطة آحادا من غير البشر كالملائكة مع الانبياء عليهم السلام ومن
جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا في دليل العقل واذا ثبت كلاهما
ولم يستحيل اثبات الرسل لا دليل على صدقهم في معجزاتهم وجب تصديقهم
في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم
قائم مقام قول الله صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد على
صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض ثم من اراد
تتبعه وجده مستوفى في كتب مشايخنا رحمهم الله والنبوة في اللغة
مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التأويل تسهيلا
والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ
فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله
عليه فعيل بمعنى فاعل او يكون مشتقا لم يهمز من النبوة وهو
ما ارتفع من الارض فمعناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند

مولاه

مولاه منيفة فالوصفان في حقه متحققان واما الرسول فهو المرسل
ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا والرسالة من الله تعالى
بما بلغ المرسل اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس
ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكأنه الزم تكرير التبليغ
والزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او
بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال
قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان
من وجه او قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام
بخواص النبوة والرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة
الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الآية
نفسها تفريق الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في
الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من رسول الى امة او نبي ليس
بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ
ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي
عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل
آدم وآخرهم محمد صلوات الله عليهم اجمعين وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه عليه
السلام ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل
منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر اولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة

وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية
في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل والوحي في اصله الاسراع فلما
كان النبي يتلقى ما يأتيه في رتبة بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهام
انه وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وكذا الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان
سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحي الوحي
اي السرعة وقيل اصل الوحي الستر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا
ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي
يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القي في
قلبها وعند قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة فصل اعلم ان معنى قولنا ما جاءت
به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين
ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه
كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم
ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله
كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجرة ونبع
الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله
فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي
بمثله تعجيزا له اعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه

وسلم

وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا
وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه
وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران لا
يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه
وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر
السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها
معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه
من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم
قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف في مجيء النبي
صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان
انكر هذا معاند جاحد فهو كمن انكر وجود محمد صلى الله عليه وسلم
في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا
كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى
على يديه عليه السلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ منها واحد
معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه
ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند
في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وان ذلك بمثابة
قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا ضرورة

لا تشك في معاينتها كما نعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم الأحنف لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على
كرمها وشجاعة هذا وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب
العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني منها ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع
وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به
عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين
الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان و
رواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله
اتفق في المعنى واجتمع على الإتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله وأنا أقول صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات
المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع أما انشقاق القمر فالقرآن
نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل وجاء
برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف
أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك
على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء
سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد
الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ... ومنها ما
رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة
الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم

في يوم

91

في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك
وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من
الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار على ما ذكر عنهم
أنهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم
المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس
هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم
وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها
من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا و
وهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من
معجزاته لما بيناه وأيضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها و
بنيت على باطل لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس وأهل البحث
من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الأخبار
الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام نبينا هذه الواردة من
طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول
الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها
واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها
إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما
يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق
لا غطاء عليه وقد قال به من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما

رحمهم الله وما أوجب عندنا قول المخالف إن هذا القصص المشهورة
في باب خبر الواحد الآحاد القليلة مطابقة للأخبار ورواتها شغلا بغير
ذلك من المعارف والأمور اعتنى بطرق النقل وطالع الحديث
والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي
ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر
فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة
عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها
فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة
وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة
للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه
وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على
بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره
وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وأن أبا حنيفة
يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى
أقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا
آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله عز وجل فصل
في إعجاز القرآن اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز
منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط
أنواعها في أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته

ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا
أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة
والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم
ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب
ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب
ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون بذلك بالسحر الحلال
ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون
الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون
يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا
منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع
الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ
الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل
الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في
البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون
أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها
واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ
أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين

وبقاؤه لو انه النقل والكثرة حيث جليوا في النظم والنثر فقراعهم
الرسول الكريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته
العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه
وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه
وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفصح ما كانوا في هذا
الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر سجالا وأوسع
في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم
التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا
وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين أم يقولون افتراه قل فأتوا
بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله
ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا
بمثل هذا القرآن الآية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن
المفتري أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ
إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له
وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد
فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم غاية

التوبيخ

٩٣

التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم
ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون
عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب (بالتكذيب صح)
والإغراء بالافتراء وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر وسحر مستمر وإفك
افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم
قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا
أساطير الأولين وقد قال الله تعالى لهم ولن تفعلوا فما فعلوا
ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره
لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف على أهل
الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل
ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون
ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم
إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله إن له لحلاوة
وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول
هذا بشر وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما
تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما
استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل

هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان
يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق
فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها
فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي
قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه وحكى الاصمعي
انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد
هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
الآية فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق
والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة
وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل
من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته
واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تأملت قوله تعالى ولكم
في القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا
من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك

فاذا قد جمع فيها

ويا سماء

ويا سماء اقلعي الآية وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا الآية واشباهها من الآي بل اكثر القرآن حققت
ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن
تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة
وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد
منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص
الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة
الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من
ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه
كقصة يوسف عليه السلام على طولها ثم اذا ترددت قصصه
اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة
تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا
نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها فصل
الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف
لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه
ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد
قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل
حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله
في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع

كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن
فرقّ له فجاءه ابو جهل منكرا عليه فقال والله ما منكم احد اعلم
بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره
الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن
قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو
بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر
قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده
قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف
انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق به بين المرء
وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا و
جلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد
ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين
سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته
وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر
ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث
اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف اخاه انيسا فقال والله ما
سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في

الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي
صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن
ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء
الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق
وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والصحيح انه عليه السلام تحدى بالكل
من القرآن على الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته
كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان
بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها
وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من المحققين وذهب بعض المقتدى
بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك
بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم
بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة و
ارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه
ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم
يقول انه ما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه و
ايجازه وبديع تأليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر
وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى
وقلب العصا وتسبيح الحصى وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما
يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه

لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به
جماعة من اصحابه وعلى الطريقين عجز العرب عنه ثابت واقامة
الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان
يأتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج
بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع
دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء
والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف
وابائة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا
اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرتهم والشغل بها
اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم
ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم
الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء
نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة
من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد
وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان
من اعجازه فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى
عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على
الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين وقوله تعالى اذا جاء نصر الله الآية وقوله تعالى وهم من بعد

غلبهم

96

غلبهم سيغلبون وقوله تعالى ليظهره على الدين كله وقوله تعالى وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين
ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم
وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين
في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى
اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الارض فأريت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في
تغييره وتبديل محكمه من الملحدين والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا
كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على
اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين
في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية وقوله تعالى هو
الذي ارسل رسوله بالهدى الآية وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى
وان يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين
واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى
ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تعالى يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك الآية وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب

الثانية قوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى
قوله تعالى في الدين وقد صح فالخبر بما اخبر الله تعالى
واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا
كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزؤن
نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا ومنه قوله تعالى
والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضرره
وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة   الوجه الرابع
ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة
مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب
الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم
على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه
وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ
ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل
حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسئلونه صلى الله عليه
وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا
كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف واخوته
واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك

من الانباء والقصص وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل
والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له
من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد
من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم
على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه
مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار
انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم
شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين
واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على
نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت
لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم
في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم
وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح
بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده اياه
كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت
في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه
مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع

ودفع ووعى الى اقصا ملكهم غير ممتنع لمن معترف بالمجوده
وتستوفي بيتي على فصيحة من كتابه ولم يؤثر ان واحدا منهم
اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه
قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما
كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الايتين
هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن
الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت
بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا
قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله
خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة
واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت
واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا
غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم
ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا
على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك
معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب
امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك
نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد

امتحنه

امتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد
عليه اسقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة
بقوله تعالى فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية
وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لا
عن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاخبرهم تعالى انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل
في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها
فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند
سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة
خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه
ويزيدهم نفورا كما قال الله تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم
له ولهذا قال عليه السلام ان القران صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته
توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الاية ويدل
على ان هذا شي خصيصة انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم
تفسيره كما روي عن نصراني انه مر بقاري فوقف يبكي فقيل

رحم بحيث قال الشيخ ابو النظم وسمع الروعة قد اعترف جماعة قبل الاسلام
وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في
الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا
في المغرب بالطور فلما بلغ ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى
قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول
ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم
النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم فصلت
الى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده
على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرا وعتبة مصغ ملق يديه خلف
ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج اليهم حتى
اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد
ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك
فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرا
وقيل يا ارض ابلعي ماءك الآية فرجع فمحا ما عمل وقال اشهد ان
هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته
وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام

شيئا

شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج
بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على
التوبة والانابة فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة
كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه
فقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام
انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز
الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة
عام وخمس وثلثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته
قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان
وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة
البراعة والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء
يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه
على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند
شحيح بل الماثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه و
النكوص على عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي
الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه
لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له
محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة

مبلغه نيل من التزيد وبيان لذا اعيد وكتابا يستلذ به الخلوات
ويتوالى تلاوته في الازمان وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى
احدث لها اصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم
على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القران
بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو
الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا
تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا
انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف
لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة
بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب
من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج
العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة
سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان
ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشأها
اول مرة وقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حوى
من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار
الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء

ولقد

ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وقال عليه السلام
ان الله انزل هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا
مضروبا فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم
لا يخلقه الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال
به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط
ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب
الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر
الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء
النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا
يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد و
نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان
فيه نبأ الاولين والاخرين وفي الحديث قال الله تعالى عز وجل
لمحمد عليه السلام اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا
عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع
القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقل ونور الحكمة
وقال تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم
فيه يختلفون وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه مع
وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها
على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك

إذا جمع بنظم القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته وانتهاء
هذه البلاغة لكرره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي لها يفهم موضع
الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها أن جعله
في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم
أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمع في الآذان وأحلى على الأفهام
فالناس إليه أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر
الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجم على مرور السنين عليهم والقرآن
ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة ومنها مشاكلة بعض أجزائه
بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص
من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام
السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات
نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده
دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا
ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه
فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم
بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم بمحمد وتعجبهم مما أتى به
والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم
وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب

الأمم

١٠١

الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي
صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم
أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء عليهم السلام كل هذا في أوجز
كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات
القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه
كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها داخلة في باب بلاغته فلا يجب أن
يعد فنا مفردا في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك
كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه
وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها
من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله الموفق للصواب
وهو المستعان فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله
تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر أخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي
وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على
وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه
ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا الأصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش
عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق
القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق

في إعجازه نسخة

الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض
طرق الاعمش بمنى ورواها ايضا عن ابن مسعود الاسود
وقال حتى رأيت الجبل بين فرقتي القمر ورواه عنه مسروق انه
كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال
رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر
الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا
فسألوا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك
نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى
تنظروا ارأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا
يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء
اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود
منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة من رواية ابي
حذيفة الارحبي وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم فقال
علي كرم الله وجهه من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر
ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس سأل اهل مكة
النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر
فرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية
معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت

اقتربت

اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه
محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله
بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه
عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي
واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت
الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء
ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة
فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على
الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل
الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون
من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين
قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون
بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها
الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا و
العادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وايجاف الابواب
وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد
ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد
واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها
من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم

عنه احدهما وخرّج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس
من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه
ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد
عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت
ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان
الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي أن أحمد بن
صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث
أسماء لأنه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي
في روايته عن ابن إسحق لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم
الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون
وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في
النهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل ومن ذلك نبع الماء من بين
أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم أما الأحاديث في هذا
فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله
عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود رضي الله
عنهم حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه

ثنا القاضي

ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو
عمر بن الفخار ثنا أبو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن
إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر
فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء
ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند
آخرهم ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه
أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه
وهم بالزوراء عند السوق ورواه أيضا حميد وثابت والحسن عن
أنس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت
عنه وعنه أيضا وهم نحو من سبعين رجلا وأما ابن مسعود ففي الصحيح
عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من
معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء
ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه عطش
الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم

بين يديه ركوة يتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا
ماء الا في ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة
فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم
كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة و
روي مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية
الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر
غزوة بواط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد
الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب
فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال
ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر
عليه فقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم
فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء
فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي ان النبي
صلى الله عليه وسلم اتي في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل له ما معنا ماء الا
هذا فسكبه في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في
الماء وجعل الناس يجيئون فيتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي
رحمه الله وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه

المواطن

المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم
كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم
كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه
ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا
به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له فصل
ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجير الماء ببركته
وابتعاثه بمسه ودعوته فيما رواه مالك في الموطأ عن معاذ
بن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين
وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم
حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال
في حديث ابن اسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد
ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة
الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة
فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما
دعا واما بصق فيها فجاشت فارتووا انفسهم وركابهم وفي غير هذه
الرواية في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما

من كنانته فوضع في قعر قليب فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن
وعن أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا
وملأوا كل إناء معهم فخيل إلي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين
رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث أبي قتادة
على غير ما ذكره أهل الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم مددا
لأهل مؤتة عندما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات
وآيات للنبي عليه السلام وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد
وذكر حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم
أنه قال لأبي قتادة احفظ علي ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ
وذكر نحوه من ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي
صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه
رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها
بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن
يقول ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس
فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤوه قال عمران رضي الله
عنه وتخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد

حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن
الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الأكوع رضي الله
عنه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل
بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه
أربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة
وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع
يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملأوا ما معهم من
آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال
للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس
عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج
الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء
الاستسقاء وما جانسه فصل ومن معجزاته عليه السلام تكثير
الطعام ببركته ودعائه قال حدثنا القاضي الشهيد أبو علي
رحمه الله ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن أعين
ثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى
النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير
فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم

فاخبره فقال ادخلهم ولا تكلمتم منه وتفاه بكم وغير ذلك حديث
ابي طلحة المشهور واطعم فيه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين
رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده الى ابطه فامر بها
ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في
اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع
شعير وعناق قال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا
وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك فيه
عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن رجل
من الانصار وامراته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول كل بسم
فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلا
حتى قدم معه كذلك صلى الله عليه وسلم وبقي بعد ما شبعوا
مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف
الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين
فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج
منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة

وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله عليه
وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم
قوم ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في
الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي
سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد
حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا
اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة
بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا المخمصة
اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام بقية تمر
وفوق ذلك وكان اعلاهم الذي اتى بالصاع من [illegible]
من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم
دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي
منه وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه امرني النبي صلى
الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم
فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي
مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن

ابی طالب کرم الله وجهه جمع رسول الله صلی الله علیه وسلم بنی عبد
المطلب وکانوا اربعین منهم من یاکل الجذعة ویشربون الفرق
فصنع لهم مدا من طعام فاکلوا حتی شبعوا وبقی کما هو ثم
دعا بعس فشربوا حتی رووا وبقی کانه لم یشرب وقال انس
ان النبی صلی الله علیه وسلم حین ابتنی بزینب امره ان یدعو له
قوما سماهم وکل من لقیت حتی امتلا البیت والحجرة وقدم الیهم
تورا فیه قدر مد من تمر جعل حیسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث
اصابعه وجعل القوم یتغدون ویخرجون وبقی التور نحوا مما
کان وکان القوم احدا او اثنین وسبعین وفی روایة اخری
فی هذه القصة او مثلها ان القوم کانوا زهاء ثلثمائة وانهم
اکلوا حتی شبعوا وقال لی ارفع فما ادری حین وضعت
کان اکثر ام حین رفعت وفی حدیث جعفر بن محمد عن ابیه
عن الحسین عن علی رضی الله عنه ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما
ووجهت علیا الی النبی علیه السلام لیتغدی معهما فامرها
فغرفت منها لجمیع نسائه صحفة صحفة ثم له علیه السلام
ولعلی ولها ثم رفعت القدر وانها لتفیض قالت فاکلنا منها ما
شاء الله وامر صلی الله علیه وسلم عمر بن الخطاب رضی الله عنه
ان یزود اربعمائة راکب من احمس فقال یا رسول الله ما هی
الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منها وکان قدر الفصیل

الرابض من التمر وبقی بحاله من روایة دکین الاحمسی ومن روایة
جریر ومثله من روایة النعمان بن مقرن الخبر بعینه الا انه قال
اربعمائة راکب من مزینة ومن ذلک حدیث جابر فی دین ابیه
بعد موته وقد کان بذل لغرماء ابیه اصل ماله فلم یقبلوه ولم یکن
فی ثمرها سنتین کفاف دینهم فجاءه النبی صلی الله علیه وسلم
بعد ان امره بجدها وجعلها بیادر فی اصولها فمشی علیه السلام فیها ودعا
فاوفی منه جابر غرماء ابیه وفضل مثل ما کانوا یجدون کل سنة
وفی روایة مثل ما اعطاهم قال وکان الغرماء یهود فعجبوا من ذلک
وقال ابو هریرة رضی الله عنه اصاب الناس مخمصة فقال لی
رسول الله صلی الله علیه وسلم هل من شیء قلت نعم شیء من
التمر فی المزود قال فاتنی به فادخل صلی الله علیه وسلم یده
فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبرکة ثم قال ادع عشرة فاکلوا
حتی شبعوا ثم عشرة کذلک حتی اطعم الجیش کلهم وشبعوا
وقال خذ ما جئت به وادخل یدک واقبض منه ولا تکبه فقبضت
علی اکثر مما جئت به فاکلت منه واطعمت حیاة رسول الله صلی
الله علیه وسلم وابی بکر وعمر الی ان قتل عثمان فانتهب منی
فذهب وفی روایة فقد حملت من ذلک التمر کذا وکذا من وسق
فی سبیل الله وذکرت مثل هذه الحکایة فی غزوة تبوک
وان التمر کان بضع عشرة تمرة ومنه ایضا حدیث ابی هریرة

رضي الله عنه من اصابة الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم
فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة
قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة
اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم
فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي
جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت
انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب فما زال يقول لي واشرب
حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح
فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه
اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا
يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله
عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد
ودعا له بالبركة فنثره لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره
الدولابي ومن حديث الاحرمي في نكاح النبي صلى الله
عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها
قال فاتيته بها فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة
ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر
بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث

انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم
حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم
ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة
حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على
الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا
كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر او حين
رفعت واكثر هذه الفصول الثلثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى
حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم
من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص
مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا
يسكت الحاضر لها على ما انكر منها فصل في كلام الشجر وشهادتها
له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا قال
حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه
عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم
البغوي ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي وكان
صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي

اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك
على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها
فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين
يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها
وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له
قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها
وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض
تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع
الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي
ائذن لي ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة
ان تسجد لزوجها قال فاذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن
له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا
بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي
علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع
قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف

بينهما

بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى
فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت
حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر
وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا برسول الله صلى
الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل
واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة
بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه هل تجد مكانا لحاجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال
هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله وقل للحجارة مثل ذلك
فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات
يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما
خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي
نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى
مواضعهن وقال يعلى بن سيابة رضي الله عنه كنت

مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحواً من خبر النخلتين
وذكر فلصقوا اصلهما وذنبهما فانفرجتا وفي رواية امت ثنتين
وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين ومثله عن ابن مسعود
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين
وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت
فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه آذنت النبي صلى الله عليه وسلم
بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في
هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة
تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل
الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن
مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي
طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا
على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين
اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر
ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف

ليلا

ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى
جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة
معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل عليه السلام قال
للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا اتحب ان اريك آية
قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء
الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين
يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي رضي الله عنه
نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني آية لا ابالي من
كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه عليه السلام لتكذيب
قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى الله
عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه
عليه السلام شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله آية
يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا
فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا
حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما
جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال
فيه ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارأيت ان دعوت

هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه
فجعل ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح فصل في قصة حنين الجذع
ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر قد خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة
رضوان الله عليهم بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن
عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن
عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة
والمطلب بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال
الترمذي وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان
المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه
وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية أنس حتى
ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما
رأوا به وفي رواية المطلب وأبي حتى تصدع وانشق
حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت
زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد
من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل
هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث
المطلب وسهل بن سعد وإسحاق عن أنس وفي بعض الروايات
عن سهل فدفن تحت منبره أو جعل في السقف وفي حديث
أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم
المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرضة وعاد رفاتا
وذكر الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه
يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة
فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك إلى الحائط
الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك
خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من
ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل
تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا
أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت
ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى
لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله
بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب
وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت

والحكم بن طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو
نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن
عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد
وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل
بن ابي عن ابيه قال القاضي رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه
خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من
التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد
يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

وبدون نخ

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط ثنا
المهلب ثنا ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسي ثنا المروزي
ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو احمد الزبيري
قال ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه
الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس رضي الله عنه
اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن
في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر

رضي الله

رضي الله عنه وذكر ابن اسحاق تسبيحهن في كف عمر وعثمان وقال
علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض
نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول
الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام اني لاعرف حجرا
بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة رضي
الله عنها قال لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر
بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن
عبد الله لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له
وفي حديث العباس رضي الله عنه اذ اشتمل عليه النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار
كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوائط
البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي
صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب
فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد
النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم
فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله
عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال
فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن
عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن

وسعد اخال قد نبيت الاشفية وفي حديث سعيد بن زيد ايضا
مثله وقال عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش
قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري
فيعذبني الله فقال له حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق
قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال
فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله
عنه كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل
بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد
عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء
الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه
ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث
ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا
مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى
اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين
يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش
ما علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد
الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل النبي صلى الله عليه وسلم

غمامة

غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة
فلما جلس مال الفيء اليه صلى الله عليه وسلم فصل في الايات
في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين
الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس ثنا ابو الفضل الصقلي
ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا ابو العلاء
احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد
عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان
عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم
يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء وذهب وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد
ضبا فقال ما هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا
آمنت بك او يؤمن بك هذا الضب وطرحه بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي
الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه
قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد
افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة

كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بينا راعٍ
يرعى غنماً له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه فأقعى
الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال
الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك
بأعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث
الناس بأنباء ما قد سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثم حدثهم ثم قال صدق
والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب
عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال
الذئب أنت أعجب واقفاً على غنمك وتركت نبياً لم يبعث الله
قط نبياً أعظم منه عنده قدراً قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف
أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب
فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها
حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه
ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال النبي صلى الله
عليه وسلم له عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح
للذئب شاة منها وعن أهبان بن أوس وأنه كان صاحب
القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع
وأنه كان صاحب هذه القصة أيضاً وسبب إسلامه بمثل

حديث أبي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان
بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبياً
فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب
أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه
إلى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة
لتتركنها خلوفاً وقد روي مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه
وعن عباس بن مرداس رضي الله عنه لما تعجب من كلام
ضمار صنمه وإنشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه
وسلم فإذا طائر سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا
تعجب من نفسك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام
وأنت جالس فكان سبب إسلامه وعن جابر بن عبد الله
عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على
بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول
الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك
أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت
إلى أهلها وعن أنس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطاً
للأنصار وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم
فسجدت له فقال أبو بكر رضي الله عنه نحن أحق بالسجود لك منها
الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم

حائطا في بعير فنجده وذكر مثله وقصة الجمل عن ثعلبة بن مالك
وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان
لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله
عليه وسلم دعاه فوضع مشفره على الارض وبرك بين يديه فخطمه
وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي
الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر آخر في حديث
الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فاخبروه انهم
ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه
شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم
ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي
في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها
له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش
عنها ونداءهم لها انك لمحمد وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته
عليه السلام حتى ماتت ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب
ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها
بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة
رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة
فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين
فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر وان العنكبوت نسجت

على بابه

على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم
تكن الحمامات ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم
فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قربت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن
اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى
الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك
قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني
حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله
لك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في
الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا
الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق
وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به
فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه
السلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم
خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما

عن ابراهیم بن حماد بسنده فی کلام الحمار الذی اصابه بخیبر
وقال له اسمی یزید بن شهاب فسماه النبی صلی الله علیه وسلم یعفورا
وانه کان یوجهه الی دور اصحابه فیضرب علیهم الباب برأسه ویستدعیهم
ویستدعیهم وان النبی صلی الله علیه السلام لما مات تردی فی
بئر جزعا وحزنا فمات وحدیث الناقة التی شهدت عند النبی
صلی الله علیه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملکه وفی العنز التی
اتت رسول الله صلی الله علیه وسلم فی عسکره وقد اصابهم عطش
ونزلوا علی غیر ماء وهم زهاء اربع مائة فحلبها رسول الله صلی الله
علیه وسلم فاروی الجند ثم قال لرافع املکها وما اراک فربطها فوجدها
قد انطلقت رواه ابن قانع وغیره وفیه فقال رسول الله صلی
الله علیه وسلم ان الذی جاء بها ذهب بها وقال لفرسه علیه السلام
وقد قام الی الصلوة فی بعض اسفاره لا تبرح بارک الله فیک
حتی نفرغ من صلوتنا وجعله قبلته فما حرک عضوا حتی صلی
صلوات الله علیه ویلتحق بهذا ما رواه الواقدی ان النبی صلی الله
علیه وسلم لما وجه رسله الی الملوک فخرج ستة نفر منهم فی یوم واحد
فاصبح کل واحد منهم یتکلم بلسان القوم الذین بعثه الیهم والحدیث
فی هذا الباب کثیر وقد جئنا منه بالمشهور منه وما وقع فی
کتب الائمة فصل فی احیاء الموتی وکلامهم وکلام الصبیان
والمراضع وشهادتهم له علیه السلام بالنبوة حدثنا ابو الولید هشام بن احمد الفقیه

بقراتی

بقراتی علیه والقاضی ابو الولید محمد بن رشد والقاضی ابو عبد
الله محمد بن عیسی التمیمی وغیر واحد سماعا واذنا قالوا ثنا ابو علی
الجیانی قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زید عبد الرحمن بن یحیی
ثنا احمد بن سعید ثنا ابن الاعرابی ثنا ابو داود ثنا وهب بن
بقیة عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابی سلمة عن ابی
هریرة رضی الله عنه ان یهودیة اهدت للنبی صلی الله علیه وسلم
بخیبر شاة مصلیة سمتها فاکل رسول الله صلی الله علیه وسلم
منها واکل القوم وقال ارفعوا ایدیکم فانها اخبرتنی انها مسمومة فمات فقال خ
بشر بن البراء وقال للیهودیة ما حملک علی ما صنعت قالت ان کنت
نبیا لم یضرک الذی صنعت وان کنت ملکا ارحت الناس منک قال
فامر بها فقتلت وقد روی هذا الحدیث انس وفیه قالت اردت
قتلک فقال ما کان الله لیسلطک علی ذلک فقالوا الا نقتلها قال لا وکذا
روی عن ابی هریرة رضی الله عنه من روایة غیر وهب قال فما عرض
لها ورواه ایضا جابر بن عبد الله وفیه اخبرتنی به هذه الذراع قال
ولم یعاقبها وفی روایة الحسن ان فخذها تکلمنی انها مسمومة وفی
روایة ابی سلمة بن عبد الرحمن فقالت انی مسمومة وفی روایة ابی
سلمة بن عبد الرحمن فقالت انی مسمومة وکذلک ذکر الخبر ابن اسحق
وقال فیه فتجاوز عنها وفی الحدیث الآخر عن انس انه قال رضی الله
عنه فما زلت اعرفها فی لهوات رسول الله صلی الله علیه وسلم

وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه
الذي مات فيه ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان
قطعت أبهري وحكى ابن إسحاق إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة
وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي
هريرة وأنس وجابر وفي رواية ابن عباس رضي الله عنه أنه دفعها لأولياء
بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله للذي سحره قال
الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وروي أنه قتله وروى الحديث
البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسط يده وقال
كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر منا أحدا قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح
وخرجه الأئمة وهو حديث مشهور واختلف أئمة أهل النظر في هذا
الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة
أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها
دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ أبي الحسن
والقاضي أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها
أولا ثم الكلام بعده وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكل
محتمل والله أعلم إذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات
إذ لا

اذ لا يستحيل

إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فأما إذا كانت عبارة
عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس
إلا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في إحالته
وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حي مركب على تركيب
من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزم ذلك في الحصى
والجذع والذراع وقال إن الله خلق فيها حياة وخرق لها فما
وآلة أقدرها بها على الكلام وهذا لو كان لكان نقله و
التهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحها أو حنينها ولم ينقل أحد من أهل
السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع أنه
لا ضرورة إليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن
عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط
فقال من أنا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رضي الله
عنه رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر
مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم
راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله
فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت
هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن أتى رجل النبي صلى
الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه
إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله فخرجت وهي

تحول البيت وسعد تحته فقال لها ابنه ابو بكر قد احتسبنا فان احببت ان
ادركه عليه قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس
رضي الله عنه ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه
وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت
اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي
هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
وروي عن عبيد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن
ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين
ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان
البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله
عنه ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع
وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول
انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي
خاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر
ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابراء المرضى ودعوات العاهات
اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره
قال ثنا ابو اسحق الحبال قال ثنا ابو محمد النحاس ثنا ابو الورد
عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق

ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بتفصيله
احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم ما له نصل فيقول
ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه
حتى اندقت سيتها واصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان
حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن
قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد
الخدري عن قتادة واصيبت عين قتادة بسهم في وجهه لقتادة في
يوم ذي قرد فقال فما ضرب عليه ولا فاح وروى النسائي عن
عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف
لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم
اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه
بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد
كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب الاسنة اصابه
استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة
من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى
ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله
وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ان اباه ابيضت عيناه

فكان لا يبصر بها شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين
ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن أنيس
فلم تمد وتفل في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمدا
فأصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر
فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب
حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم
الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه و
اشتكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فجعل يدعو فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى
الوجع بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء
يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها
فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته أيضا أن خبيب بن
يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة
على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفث عليه حتى صح وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء
لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها
بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس

وعن ابن عباس

119

وعن ابن عباس رضي الله عنه جاءت امرأة بابن لها به جنون
فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي فشفي صح
وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه
ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي
سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق
لها أثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين
يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها
ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها
من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها فصل في إجابة
دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدا وإجابة دعوة
النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة
معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده
قال حدثنا أبو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن
محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا
محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن أبي الأسود ثنا حرمي ثنا شعبة
عن قتادة عن أنس قال قالت أمي يا رسول الله خادمك
أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته

ومن رواية عكرمة قال انس رضى الله عنه فوالله ان مالى لكثير
وان ولدى وولد ولدى ليتعادّون اليوم على نحو المائة وفى رواية
وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت
بيدى هاتين مائة من ولدى لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه
صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن رضى
الله عنه فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله
عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدى
واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكنّ اربعا وقيل مائة الف وقيل
بل صولحت احديهنّ لانه طلقها فى مرضه على نيف وثمانين الفا
واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية فى حيوته وعوارفه
العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها و
باقتابها واحلاسها ودعا لمعاوية رضى الله عنه بالتمكين فى
البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ان
يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام
بعمر او بابى جهل فاستجيب له فى عمر وقال ابن مسعود رضى الله عنه
ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر رضى الله عنه واصاب الناس فى بعض
مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم
حاجتهم ثم اقلعت ودعا فى الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر

فدعا

فدعا فصحوا وقال لابى قتادة افلح وجهك اللهم بارك له فى شعره
وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة وقال
للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفى رواية فكان
احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش
عشرين ومائة سنة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس رضى الله
عنه اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فسمى بعد الحبر و
ترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة فى صفقة
يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده
له غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن ابى الجعد فقال فلقد كنت
اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخارى فى
حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروى مثل هذا لغرقدة
ايضا وندّت له صلى الله عليه وسلم ناقة فدعا فجاء بها اعصار
ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابى هريرة فاسلمت ودعا لعلى رضى
الله عنه ان يكفى الحر والقر فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف
وفى الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة
ابنته رضى الله عنها الا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله
الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نوّر له فسطع نور بين
عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان
يضيء فى الليلة المظلمة فسمى ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا

حتى استقطعه قريش بعد ذلك لهم فسقوا ودعا على كسرى حين
مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس
رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلوة ان يقطع الله
اثره فاقعد وقال لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا
استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة ابن
ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال له
اكلك الاسد فاكله وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود
في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد
مع الوليد والقوم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر
ودعا على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي
صلى الله عليه وسلم اذا رآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان
مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم
وري فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه
بالحجارة الصد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي التي
شهد فيها خزيمة له صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى
الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له
فيها فاصبحت شائلة برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من
ان يحاط به فصل في كراماته وبركاته وانقلاب
الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد ثنا ابو ذر

الهروي

الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي كما والقاضي ابو عبد
الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي
حدثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا
الفربري ثنا البخاري ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة
عن انس بن مالك رضي الله عنهما ان اهل المدينة فزعوا مرة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف
او به قطاف وقال غيره يبطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك
بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد اعيى
فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي
خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع
من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره صلى الله
عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه فلم يشهد
بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله
عنها انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي
ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة
من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى
فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان

رضي الله عنه لكثيره على ما كتب في صداق الناس به فأخذته فرها
إلا كلمة فغطاها ومات قبل الحول وكتب صلى الله عليه وسلم من خصل
وحوته في بئر قباء التي نزفت بعد فبزق فيه بئر كانت في دار أنس
فلم يكن بالمدينة أعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل اسمه بيسان
وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب وأتي عليه السلام
بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين
لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لأم مالك
عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها النبي صلى الله
عليه وسلم أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا
فيأتيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إليها فتجد
فيها سمنا فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه
الصبيان المراضيع فيجزئهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده عليه
السلام فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة
ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب
فقام عليه السلام وغرسها بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت
كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت
وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة
الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه

اربعين

أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث حنش
بن عقيل رضي الله عنه سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة
من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا
جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا ظمئت وأعطى قتادة بن
النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق
به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت
بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له
العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه
لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر
فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن
فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في
قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفع عليه
السلام لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب
نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته عليه السلام في درور الشياه
الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معاوية بن
ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد
الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل فدرت وشاة المقداد ومن ذلك
تزويده أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية

ومسح على رأس عمير بن سعد وبرّك فمات وهو ابن
ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب
بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب
نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه و
ظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين
ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد
الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه ابيض وموضع كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان
يدعى الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه
آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق
حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على رأس
حنظلة بن حذيم وبرّك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد
ورم وجهه والشاة وقد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي
صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة
نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح
على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره وورد مثله في خبر المهلب
بن قبالة وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرأوا واتاه
رجل به أدرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها فبرأ وعن
طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في

صدره الا ذهب والمس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها
ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم بدر ورمى بها
في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى
عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف
بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى في
هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له
انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح راس
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة
ففرع الرجال طولا وتماما وما يروى عنه في هذا الباب كثير فصل
ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا
الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه
المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر
لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام
ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر
ثنا ابو علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود
ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة
رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما
ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه
من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه

الشيء ما غرد فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم
اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة رضي الله عنه ما ادري أنسي اصحابي
ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة
الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه
لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر رضي الله عنه لقد تركنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه
علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم
مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن
والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة
لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى ويفتح خيبر على يدي علي في غد
يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح
في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم
كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ
وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله
بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر
والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب

قيصر حتى

قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر
وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم
وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب
وانه زويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته
ما زوي له منها فكذلك كان انتشرت في المشارق والمغارب ما بين
ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه ودون
ذلك لم تملكه امة من الامم ولم تنتشر في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك
وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب
ابن المديني الى انهم العرب لانهم المخصوصون بالسقي بالغرب وهي
الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل الغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث
بمعناه وفي حديث آخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي
ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك
قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني
امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا
وخروج ولد العباس بني عم بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا
وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي
رضي الله عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته
من رأسه وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار
فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبية وطائفة ممن ينسب الى السنة

من الروافض تكفره وقال بقتل عثمان وهو يقرا في المصحف وان
الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه
على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا و
بمحاربة الزبير لعلي رضي الله عنهما وبنباح كلاب الحوأب على ازواجه
وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة
عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله
اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك
من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار
فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب و
حذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسال عن بعض
فكان سمرة رضي الله عنه آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى
بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه
فاني رايت الملائكة تغسله فسالوها فقالت انه خرج جنبا
واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا راسه يقطر ماء وقال
الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين
وقال عليه السلام يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج
والمختار وبان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به
وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلثون ثم تكون ملكا فكانت
كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنه وقال ان هذا الامر بدا نبوة

ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون
عتوا وجبروتا وفسادا واخبر بشان اويس القرني وبامرا
يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون في امتي ثلاثون كذابا فيهم
اربع نسوة وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا احدهم الدجال
الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم
العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق
الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا
يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون و
يظهر فيهم السمن وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه
وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة
لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور
القدرية والرافضة وسب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار
حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم
جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم
والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس
الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وان تلد الامة
ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم و
اخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى

البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان
منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته
فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال
لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة
رضي الله عنه فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا
يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله
وبالذي غل الشملة وحيث هي وناقته حين ضلت وكيف تعلقت
بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير
مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه
وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي
تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها
فاسلم واخبر بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب
انه ياكله كلب الله فكان كما قال وعن مصارع اهل بدر
فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به
بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك
آخرون واخبر بقتل اهل موتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد
وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد
عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة

اسلم

اسلم واخبر ابا ذر بتطريده فكان كما قال ووجده في المسجد نائما فقال
له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا
اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع
ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة
واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه
وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده
في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبي
وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد
وقال لسراقة كيف بك اذا البست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر
البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة
وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى
اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة
رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم
الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن
عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي
بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم
وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده
يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال
عليه السلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع على

من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم في نفسهم وفي المؤمنين حتى إن كان
بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته
حجارة البطحاء وإعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذي سحره به
لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر
وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة و
إعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على
بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله تعالى فوجدوها
كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه ونعته
لهم نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها
في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال إلى ما أخبر به
من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله مقدماتها
عليه السلام عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج
الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن أشراط الساعة وآيات
حلولها وذكر النشر والحشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار و
عرصات القيامة وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا مفردا يشتمل على
أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي ذكرناها
كفاية وأكثرها في الصحيح عند الأئمة والعدد السنون فصل
في عصمة الله له من الناس وكفايته من آذاه قال الله تعالى
والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا

وقال تعالى

وقال تعالى أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين
وقيل غير هذا وقال تعالى إنا كفيناك المستهزئين وقال تعالى
وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي
قراءة عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري
قالا ثنا أبو الحسين الصيرفي قال ثنا أبو يعلى البغدادي
ثنا أبو علي السنجي ثنا أبو العباس المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ
ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري
عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من
الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة
فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة
يقيل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني
فقال الله عز وجل فرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه
الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة
في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن النبي
صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه فقال جئتكم من عند
خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد
انفرد لقضاء حاجته من أصحابه فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله



وقد روي انه وقع لهم مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه
دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه
وكان سيدهم واشجعهم قالوا اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال
اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري
وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت وقيل وفيه نزلت
يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي
اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على
رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه
من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر
وقيل في قصته غير هذا وذكرت فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وقيل كان
النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى
ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب
تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما
يطأها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحاق عنها انها لما سمعت نزول تبت يدا
ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة
فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم

فقالت

فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة
احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم
تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت
بيننا وبينه وعن عمر رضي الله عنه تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة
ليلة على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح
وقرأ الحاقة ما الحاقة الى [illegible] فضرب ابو جهم على عضد
عمر وقال انج وفرا هاربين فكان من مقدمات اسلام عمر ومنه البردة
المشهورة والكفاية الثالثة عندما اجتمعت قريش واجمعت على قتله
وبيتوه فخرج عليهم من بينهم فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على ابصارهم
وذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في
الغار بما هيأ الله من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه
حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من
نسج العنكبوت ما ارى انه من قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على
فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته
عليه السلام مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت
قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به وركب فرسه واتبعه حتى
اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه

فخرج عنها وسيستقيم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت فقال
للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت
ثانية الى ركبتيها وخرج لقوائمها دخان فسقطت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة
وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك
احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما
ادعوا لي ولكما علي فدعوا له فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد
يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي
ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل
بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده
ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سألوه
ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك
وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن ذلك فذكر
انه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم ان يأكلني فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا
من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على
بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم

حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في
اعناقهم اغلالا الآيتين وهي من [illegible] وذكر ابن اسحق في قصته اذ
خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار [illegible] فانبعث
عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله
عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الآية
في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير
يستعين في عقل الكلابيين فقتلهما عمرو بن امية فقال له
حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتني
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتواعد
حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه
يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي
ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب
منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما
دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت
هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام
تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى
الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة ويروى ان

شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثأري من محمد فلما اختلط الناس
اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه
ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي
النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق
الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت
امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة
لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمير اردت قتل النبي صلى الله
عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال
افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء
فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي
فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور
ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي
صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه
انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت
ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته تعالى له
ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش
واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله
تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر

كما قال صلى الله عليه وسلم فصحهم ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له
من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا
والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده
ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة
والقرون الماضية من لدن آدم عليه السلام الى زمنه عليه السلام وحفظ
شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات
اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم
ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين
بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه
من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ
فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها
ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة
والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد
قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته
على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر
منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له و
كافر من الجاهلية اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب
اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث
وصان به انفسهم واموالهم واعراضهم من المعاقبات والحدود

عاجلا والتصحيف بالنار آجلا الا الاحتواء على ضروب العلوم وفنون
المعارف كالبلاغة في العبارة والغوامض واللحن والنسب وغير ذلك
من العلوم التي تحتذي اهل هذه المعارف لكلامه عليه السلام فيها قدوة و
اصولا وحكمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر
وقوله عليه السلام الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا
تحزين من الشيطان وقوله عليه السلام اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا
المؤمن تكذب وقوله عليه السلام مثل كمال دار الجرذة وما روي عنه في حديث
ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان
كان هذا حديثا لا يصح لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله
عليه السلام خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي
وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود
الهندي سبعة اشفية وقوله عليه السلام ما ملأ ابن آدم وعاء شرا
من بطنه الخ وقوله عليه السلام فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله ونهى عن صب الرجل حمام او قد
او ريض فقال بطل وكذا عشرة نيا من منامات وقت ام اربعة
الحديث بطوله وكذلك جوابه في النسب وتفقهه فيه وغير ذلك مما في الكتب
العرب على اشتقاقها اسبابه استوالها مما اختلفوا فيه من ذلك وقوله
في تمييز انساب العرب وانبائها ومذحج ماشيها وغلاصمها والأزد
كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار

كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله
في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان
والف وخمسمائة في الميزان وقوله حتى مربع نجم موضع الخاتم هذا
وقوله عليه السلام ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لتحفيه
او الاقرع ان الخسف نخل منه وقوله للكاتب ضع القلم على اذنك فانه
اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم
كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها
كقوله عليه السلام للكاتب ضع بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن
شعبان من طريق ابن عباس رضي الله عنه وقوله في الحديث الآخر
يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له
الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم
وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية
انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة
والقراءة واما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها
فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير
من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه هي حسنة بالحبشية
وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب
درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا
ولا بعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب

ومن قطع في تعلمها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يقرأ ولم يكتب
ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة
لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله
تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت
غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل
لهم ذلك بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله
عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل
لجحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه
الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله تعالى
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة
العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان الفارسي او العبد الرومي
وسلمان رضي الله عنه انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور
ما لا ينعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي
صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه
وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء
اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان
بمثله بل عن فهم رصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن
نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار
على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل

حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه
وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو
حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى
هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل
النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي
صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب
فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه
على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين
لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في
سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله
مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن
بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما اتى به في معجز القرآن قاطعا
لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل امر فصل ومن خصائصه
صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة والجن
وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم
قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الآية
وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا
وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم الآية
وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية

حدثنا سفيان بن العاص الفقيه سماعاً عليه حدثنا أبو الليث
السمرقندي قال نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي نا
ابن سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا أبي نا شعبة
عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد
رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل عليه السلام في صورته
له ستمائة جناح والخبر بمحادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهما
من الملائكة وما تحكى من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة
الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن
مختلفة فرأى الصحابة جبريل في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان
ورأى ابن عباس رضي الله عنه وأسامة وغيرهما عنده جبريل
في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في
صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر
الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا
يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالاً بيضاً
على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة
تصافح عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة
جبريل في الكعبة فخر مغشياً عليه ورأى عبد الله بن مسعود
الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن
مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له
الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه
وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من أنت قال أنا هامة بن الهيم
بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحاً ومن بعده في حديث طويل
وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سوراً من القرآن وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة
فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى
وقال عليه السلام إن شيطاناً تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي
فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري
المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان ع رب اغفر لي
وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي الآية فرده الله خاسئاً
وهذا باب واسع فصل ومن دلائل نبوته صلى الله عليه
وسلم وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان
والأحبار وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته
وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين
المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وسفيان بن
مجاشع وقس بن ساعدة وكعب بن لؤي وما ذكر عن سيف
بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل

ورقة بن نوفل وعسكلان الحميري وعلماء يهود وتبع الاول وعالمهم
صاحب تبع من صفته وخبره وما ألقى من ذلك في التورية والانجيل
فانه جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن
سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن
اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وضغاطر واسقف
الشام والجارود وسلمان والنجاشي وصاحب بصرى والنصارى
من الحبشة واساقفة نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى
وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم
ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب
واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود
ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا
كثيرة لا تنحصر وقد قرع مسامع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته
وصفة اصحابه رضوان الله عليهم واحتج عليهم بما انطوت عليه
من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان
امره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن
معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف
قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال
وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع

بن كعب

بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران
وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعدى بنت كريز و
فاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على ألسنة
الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان
ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى
الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط
القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور فصل
ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته امه ومن حضره
من العجائب وكونه عليه السلام رافعا رأسه عند ما وضعته شاخصا ببصره
الى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته
اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم
وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء
ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط علي واستهل سمعت قائلا يقول
رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور
الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له
ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته
وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط
شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها
الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهم

صغير شعيرًا او سودًا فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا
وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صقيلا دهينا
كحيلا قالت أم أيمن حاضنته ما رأيته شكا جوعا ولا عطشا صغيرا
ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين
ومنعهم من استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام و
العفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في
ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله
على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره
عليه فقال له عمه ما بالك فقال إني نهيت عن التعري ومن ذلك إظلال
الله له بالغمام في سفره وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه
لما قدم وملكان يظلانه فذكرن ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى
ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي أن حليمة رأت غمامة تظله
وهو عندها وروي ذلك عن أخيه من الرضاعة ومن ذلك أنه نزل
في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها
وأينعت هي وأشرقت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه وميل
في الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلته وما ذكر من أنه كان لا ظل
لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع
على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم
إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره في المدينة وفي بيته

وان بين

وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند
موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلوة
الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك
الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله وندائهم الذي سمعوه
ألا تنزعوا عنه القميص عند غسله وما روي من تعزية الخضر
الخضر والملائكة أهل بيته عند موته إلى ما ظهر على صحبه رضوان الله
عليهم من كرامته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك
غير واحد بذريته فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد
أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات
نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى
ما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص
المقصد ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح واشتهر إلا يسيرا
من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في جمهورها طلبا
للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا
يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أظهر
من سائر معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي
معجزة إلا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على
ذلك فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من
الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله وأما كونها كثيرة فهذا القرآن

وكلها معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة
انا اعطيناك الكوثر واية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه
كيف كانت معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجز وان
كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا
بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق
يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة
وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك
الكوثر عشر كلمات فتجزى القران على نسبة عدد انا اعطيناك
الكوثر ازيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه
كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء
من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه
وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة
من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه
معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها
توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد ياخذ العد معجزاته
ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة
عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا
الى جمله يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه
وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي

سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر
بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم
منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك
زمن عيسى عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم
امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء صلوات
الله على جميعهم ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة
فانزل الله تعالى عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة
والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب
والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في
اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعرف المخبر عنها بصحة
ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق
مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم
وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم
البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن
بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه
المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في

السور ان ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة بكل امة تاتي لا تخفى وجوه
ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الا ما اخبر به من الغيوب
على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور
مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر
كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة
الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا
وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها
ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته
تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد
وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد
العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبيا نبي
الا اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت
وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا
معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شا الله
وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة
نبينا عليه الصلوة والسلام الى معنى ثالث من ظهورها بكونها
وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها

من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشيا طمعوا في
التخييل بها على الضعفا كالقا السحرة حبالهم وعصيهم
وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقران كلام
ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان
من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات
كما لا يتم لشاعر ولا لخطيب ان يكون شاعرا او
خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول
اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض
الخفي عليه ويغضى ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة
وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها
او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه
وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك
العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس
مقدورهم ورضاهم بالبلاد والجلاء والسبا والاذلال وتغيير
الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ
والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان
بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شي

يجوز جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي
الجويني وغيره وقال وهذا اعتبار ابلغ في خرق العادة
بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية
ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدءا ان ذلك
من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في
ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح
النظر واما التحدي للخلائق من مهرة اللسنين بالكلام
من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يجئ بعد توفر الدواعي
على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو
قال نبي آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم
عليه فارتفع زمانه عنهم فلو كان ذلك وعجزهم عن
القيام لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة و
بالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور
آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج للعذر
عن ذلك برقة افهام العرب وذكائها و
وفور عقولها وادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم
من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط
وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل
بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث

تجوز

تجوز عليهم فرعون انه ربهم وتجوز عليهم السامري
ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على
صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من
الآيات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما
لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى
بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف با
الصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى
ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه
وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله
فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته
فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها
في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم وابناءهم
في نصرته واتى في معنى هذا ما يلوح له رونق ويعجب منه
زبرج لو احتيج ~~اليها~~ اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان
معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ذكر
بطون هذه المسالك وظهورها وبالله الاستعانة وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين
م

[redacted]

وبه نستعين بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم
القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه
السلام قال القاضي ابو الفضل وفقه الله هذا قسم لخصنا فيه
الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه في اول الكتاب ومجموعها في وجوب
تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم
الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم الباب
الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما
قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه
فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا و
قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال
فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي فالايمان بالنبي محمد عليه السلام
واجب متعين لا يتم الايمان الا به ولا يصح الاسلام الا معه قال الله
تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
حدثنا ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا الامام ابو علي الطبري

ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا
ابو الحسين ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح
عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان
اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي
وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
والايمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه
في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة
اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب
والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق
له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني
عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان
فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد
قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام
به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة

واما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا
هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اى لكاذبون فى قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم
وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدقوا ذلك كانهم لم ينطقوا اى
يقولوا بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن
لهم فى الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين فى الدرك
الاسفل من النار وبقى عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان
فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم
على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل
الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبى صلى الله عليه
عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه وللفرق بين
القول والعقد ما جعل فى حديث جبريل الشهادة من الاسلام
والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين
هذين احديهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت
للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان
القول والشهادة به وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله
عليه السلام يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من
ايمان فلم يذكر سوى ما فى القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص

غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح فى هذا الوجه الثانية
ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق
بها جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل
هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها
غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ
الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهى مرتبطة مع العقد ولا
يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذه نبذة تفضى
الى متسع من الكلام فى الايمان والاسلام وابوابهما وفى الزيادة
فيهما والنقصان وهل التجزى ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه
جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف
صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح
معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفى بسط هذا خروج عن غرض
التاليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدناه ان شاء الله تعالى
واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به و
جبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقال
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا
وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول

فاولئك الآية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على
ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب
امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول
في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله من رسول
الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته
يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع
الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال
اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما
حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه
ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا
محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبدان انا عبد الله انا يونس
عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى
اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته
فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار
في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله

واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام
اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما
استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلام كل امتي يدخلون
الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن
عصاني فقد ابى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي
ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قومه فقال يا قوم اني رأيت
الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة
من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم
فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من
اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به
من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها
مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من
المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة
فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى
محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وأما وجوب
اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقال الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فآمنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله

تسليما ان ينقادوا لحكمه يقال سلم واستسلم واسلم اذا
انقاد وقال الله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول
الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل
وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين
عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة
السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الاولى ومغفرته
اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن
ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني وروي ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره
وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله
الآية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته
فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه
بامرهما ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته وقيل
الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل
تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع لو كان

حبك

حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع وقيل محبة
العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته
الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان
بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي
بعد هذا ذكر محبة العبد بغير هذا بحول الله وقوته حدثنا ابو اسحاق ابراهيم
بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا
ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا ثنا
حاتم بن محمد قال ثنا ابو حفص الجهني ثنا ابو بكر الآجري ثنا
ابراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم
عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو
السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث
جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام
لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت
به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي
حديث عائشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه
فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى ...

ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القرآن صعب
مستصعب على من كرهه ميسر الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه
وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا
والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي
فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
الاية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب
عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي
محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية
محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال
عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام
ان الله ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي
له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائيل افترقوا على
اثنتين وسبعين ملة وان امتي ستفترق على ثلاث وسبعين
كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا
عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام من احيى سنتي

فقد احياني

فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيى سنة من سنتي
قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان
ينقص من اجورهم شيء ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله
ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار
الناس شيئا. فصل واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع
سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى
بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ
قال ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا
محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل
من آل خالد بن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن
انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر
فقال ابن عمر رضي الله عنه يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم
شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب
الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها
ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن
انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله
ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة

خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم
قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا
السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يأتونكم يجادلونكم
بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وعن
ابن عمر حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقيل له فقال انما اصنع كما رأيت رسول الله
يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان تراني انهى الناس عنه
وتفعله فقال لم اكن لادع سنة رسول الله لقول احد من الناس وعنه
انا لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه
ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد
في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال
أبي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله
الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح
شديدة فتحاتّ عنها ورقها الا حط عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة
ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة
وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج
الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه يخبره بحال بلده
وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت

عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة

عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة
رسول الله وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود والله انك حجر لا تضر ولا تنفع
ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله
ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل عنه فقال لا ادري الا اني
رأيت رسول الله فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امّر السنة
على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امّر الهوى على نفسه
نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال
واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه
انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد
فرأيت تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك
السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل

فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله
عليها بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره
ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول

من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
الآية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب
بقراءتي عليهما قالا ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد بن ابي سليمان ثنا سحنون
بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث
في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال
فاناديهم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا
وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس
مني وقال صلى الله عليه وسلم من ادخل في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد
وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم
متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث المقدام الا وان
ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء بكتاب في كتف
كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غيرهم
او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم الآية وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثاني

الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب
فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم اذ قرع تعالى من كان (ماله واهله وولده)
ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده
الله ثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على
غير واحد قال ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي
ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم
ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين وعن ابي هريرة رضي الله عنه نحوه وعن انس عنه عليه السلام
ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما
يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين
جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي
التي بين جنبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال [illegible]



تحملهم ثم ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بجميع الاحوال ويرى نفسه
في ملكه لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته
صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن
يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة
عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى الرسول صلى الله عليه وسلم
فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من
كثير صلوة ولا صيام ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من
احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده
فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ
عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس
وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك
فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت
انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك

فانزل الله

فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند
النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي
انت وامي اتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله
فانزل الله الاية وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم
وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد ثنا العذري حدثنا الرازي
ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد
الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود
احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وتقدم حديث عمر رضي الله
عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم
عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان
خالد يأوي الى فراشه الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي
واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم
وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي

بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا
قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان
ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امراة
من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت
ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل
علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا
وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة
يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على
محمد صلوة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكي بالاسحار
يا ليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله
عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله بن عمر خدرت
رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت
ولما احتضر بلال نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى
الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امراة قالت لعائشة اكشفي لي
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما
اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن

انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك يضرب عنقه
وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه
تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احدا
يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وعن ابن عباس كانت المراة اذا اتت النبي
صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض
عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير
بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله
ورسوله فصل في علامة محبته عليه السلام اعلم ان من احب شيئا
آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في
حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها
الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره
واجتناب نواهيه والتادب بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه
وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله
تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا
يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضا الله حدثنا القاضي
ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب

ثنا ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري
عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس
في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيى
سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة
فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص
المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي حده في الخمر
فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه
فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه
الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند
قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه
وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن
معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار
الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم
وبكوا وكذلك كثير من التابعين فمنهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا
اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي
صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين

والانصار

والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم
فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن
والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب
من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله
ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال صلى
الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان ياخذه
وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة
في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال آية الايمان حب الانصار
وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب
كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباح وشهوات
النفس وقد قال انس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء
من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا
الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها
ان تصنع لهم طعاما مما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله

ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في
دينه واستثقاله لكل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وهؤلاء صحابته عليه السلام قد قتلوا
احباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله
بن ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي
اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضي
الله عنها كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته
ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن
وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة
حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة
وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها
الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن
فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى
الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار
عنهم كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام
محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه
السلام لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل
من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر

ما تقول

ما تقول فقال والله اني لاحبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد
للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه في معنى المحبة
للنبي عليه السلام وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة
النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة
الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان رحمه الله
المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول عليه السلام اعتقاد
نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال
بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال بعضهم
المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب
لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى
موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون
حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له
اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة
والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له
او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة
كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة
والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء
حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في آخرين ما يؤدي

الى الجلاء عن الادران وهتك الحجب وافتراع الغيوب او يكون حبه
اياه لموافقته له من جهة احسانه وانعامه عليه فقد ثبت الموجب
على حب ما وقع اليها فاذا انوثر بكل هذا فلحت هذه الاسباب كلها
في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة
الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن
فقد قررنا منها قبل فيما مر في الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما
احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته
بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار
وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين
واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان
ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة
ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم
البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه السلام
مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة
وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان
الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه
من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه

ما لا يبيد

ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب
واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام
طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع
هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال
علي رضي الله عنه في صفته صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه كان
لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم   فصل في وجوب
مناصحته عليه السلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم
قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين
في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه ثنا حسين بن
محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر التمار ثنا
ابو داود ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء
بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله
قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله
النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام
ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير
للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها

في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه
وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة
من النصاحة وهي الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج
نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله
وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه و
الاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من
تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل
الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر ومؤازرته ونصرته
وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق
باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول
الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها
والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها
وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته
ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة
من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال الله
تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله
الآية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال

وشدة

وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة
آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه و
التحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره
وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة
وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري
ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا
قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني كثرتهم
فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته و
نصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم
في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم
على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب
الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى
مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم
وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم
وجلب المنافع اليهم في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره
قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وقال يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله وقال يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي

الله في الآيات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول كدعاء بعضكم بعضا فأدب
في تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تعظموه
وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري
تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهى عن التقديم بين يديه
بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار
ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له
وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان
يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال وغيره من امر دينهم الا بامره ولا
يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري
ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم
قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال
حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن
رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع
صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي
لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء
بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى
به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله تعالى في الآية الاخرى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التأويلين وقال غيره
لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم

فعلوا ذلك

فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في
غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل
نزلت الآية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل
نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم
في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت
هذه الآية اقام في منزله وخشي ان يكون قد حبط عمله ثم اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله
ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل
يوم اليمامة وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول
الله لا اكلمك بعدها الا كأخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه
كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية
حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند
رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة
واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم
لا يعقلون في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال
بينما النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري

شهيدا صح

ا يا محمد يا محمد فعلمنا الله الغض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع
الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض
المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي
صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن
قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى
على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم
في قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا والله اعلم

عادة الصحب في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله حدثنا الشاهد
ابو علي الصدفي وابو بكر الاسدي سماعا عليهما في آخرين قالوا حدثنا
احمد بن عمر قال ثنا احمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن سفيان
ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور
قالوا ثنا الضحاك بن مخلد انا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي
حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر
لنا حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا
عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن
املا عيني منه وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار

وهم

وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر
فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما
وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله
كانما على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش
عام القضية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم
اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا
يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم
فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها
واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده
وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش
اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله
ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه
ابدا وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه
وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه
واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا
لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي
صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى
يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى
نحبه من هو وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت
اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخره سنتين
من هيبته واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام
وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم
اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره
او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ
في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما
ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة
سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم
وغير واحد فيما اجازونيه قالوا انا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث
قال ثنا ابو الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن الفرج ثنا ابو الحسن
عبد الله بن المنتاب ثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل ثنا

ابن حميد

ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا
المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم
الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان
حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله
استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم
عليه السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله
قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية وقال مالك وقد سئل عن
ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال
وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله
للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى
يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت
لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد
القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت
ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده

النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه
الا على ثلث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القران ولا
يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله
تعالى ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع
ولقد رايت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان
بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي
عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما
كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا
سوا وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا
حديث النبي صلى الله عليه وسلم امر بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراة

حديثه

١٥٥

حديثه ما يجب له عند سماع قوله   ذكر سيرة السلف في تعظيم رواية
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد
الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو بكر البرقاني اجازة
ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا علي بن مبشر ثنا احمد بن سنان
القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن
ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر
عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما هو قريب
من ذا او نحو ذا في رواية فربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه و
انتفخت اوداجه وقال ابرهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه
وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن
المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال
له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي عن محمد بن
سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى
الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس

لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء
اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد
الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل
عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف
كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان
قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا
ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج و
يجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة
الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن ابي
اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره
ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل وقال احب ان افهم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان
يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا اراد ان
يحدث وهو بغير وضوء تيمم ولكن قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرأ
حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله بن المبارك

كنت

كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو
يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد
رأيت منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق
فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان
تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله
جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه
فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن
الغاز سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا
ثم اشفق له فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا
ويزيدني حديثا وقال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان
الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة
ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات
المؤمنين ازواجه كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالح
رضي الله عنهم قال الله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الآية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن
احمد العدل من كتابه وكتبت من [illegible] اصله ثنا ابو الحسن

المقري الوزان ثنا حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت
حدثني ابي ثنا حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن اسمعيل ثنا يحيى
هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن
حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدكم الله في اهل بيتي ثلاثا فقلنا لزيد من اهل بيته قال آل
علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس وقال عليه السلام اني تارك
فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا
كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار
وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله
عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن
عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا
فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت
اية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا
وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق

وقال

وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان
حتى يحبكم لله ورسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وانما عم الرجل
صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته
وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار
كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وكان يأخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما
وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال والذي
نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل
من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا
وحسينا وقال من احبني واحب هذين واشار الى الحسن والحسين
واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم
من اهان قريشا اهانه الله وفي الغد سوا قريشا ولا تقدموها وقال
عليه السلام لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن
الحارث رأيت ابا بكر وحمل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه
بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن
بن حسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت
لك حاجة فارسل الي واكتب فاني استحيي من الله ان يراك على
بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته
ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم

اراد حاجة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا تفعل بالعلماء فقبل زيد
يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا ورأى
ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي فقيل له هو محمد
بن اسامة فطاطا ابن عمر رأسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت
اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز
ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها
بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها
وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه
عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف
وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد
فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره
وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروي ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان
ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق
فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت

ان امرة

بيديها

١٠٨

ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض
آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال اعوذ
بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر
وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان
اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال
اليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية فاسجدوا
واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان
ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم
ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت
حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى
حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها
مثل ذلك ومن توقيره وبره عليه السلام توقير اصحابه
وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم
والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم
والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة
والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل مثل

ونحو فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ونخرج لهم
احسن المخارج اذ هم اهل لذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا ينقص
عليه بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ونسكت
عما وراء ذلك قال عليه السلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله
تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر
السورة وقال والسابقون الاولون من المهاجرين و
الانصار الاية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت
الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا الشيخ
ابو علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي
السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا
سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي
بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل اصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى
الله ومن آذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي
فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال

من سب

من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وفي حديث
جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي
وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض
عمر فقد ابغضني وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة
وسبهم فليس له في المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين
جاؤوا من بعدهم الاية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر
قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر
فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن
احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص
احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف
ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما
وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها
الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا ذلك له يا ايها الناس اني راض
عن عمر وعن علي وعن عثمان وعن طلحة والزبير وسعد وسعيد

وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا ذلك لهم ايها الناس ان الله غفر
لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني
لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا
وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية
فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية
صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله
عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان
فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم و
اقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من
حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم
تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام
من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني
في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي
الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى
الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم
وبذلك امره الله وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة
من عاداهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له

يوم

يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر
اصحابه ولم يعز اوامره ومن اعظامه واكباره اعظام
جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده
وما لمسه عليه السلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة
قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها اصابت
الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد
شعرات من شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض
حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين
وروي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب
بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطأ تربة فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي عنه انه وهب
للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك
منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال
ما مست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم

اضرب الحوسى بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية
يضرب بثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى
ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم
انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة من احدث
فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ
قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله
ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الآكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري
كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل
الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى
باكيا منشدا ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان
الرسوم ولا لبا نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به
ركبا وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم جعل يقول متمثلا رفع الحجاب لنا فلاح لناظر
قمر تقطع دونه الاوهام واذا المطي بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام قربننا من خير من وطئ الثرى
فلها علينا حرمة وذمام وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا
فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت

٦١

ان امشي على رأسي ما مشيت على قدمي قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح
واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله
وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد
الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين
ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين
حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة
واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم
نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها وانشد يا دار خير المرسلين
ومن به هدي الانام وخص بالآيات عندي لاجلك لوعة وصبابة
وتشوق متوقد الجمرات وعلي عهد ان ملأت محاجري
من تلكم الجدرات والعرصات لاعفرن مصون شيبي
بينها من كثرة التقبيل والرشفات لولا العوادي والاعادي
زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات لكن سأهدي من حفيل
تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات اذكى من المسك المفتق
نفحة تغشاه بالآصال والبكرات وتخصه بزواكي الصلوات
ونوامي التسليم والبركات فصل في حكم الصلوة عليه
والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته

يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته
يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون
له قال المبرد واصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة ومن
الملائكة رقة واستدعا للرحمة من الله وقد ورد في الحديث
صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له
اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلوة من الله لمن
دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف
وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلوة الله تعالى ثناؤه عليه عند
الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل وقد
فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين
لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل على انهما بمعنيين واما التسليم
الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت
هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا
عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله
عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام
عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلام
مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني ان السلام على حفظك و
رعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى
الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك

لا يؤمنون

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما اعلم ان الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى
بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه
وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى
فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط
به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة
وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار
اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا
ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة
من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير
افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم
يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا
يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى
الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد
بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا
تتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره
سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي

امر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم في غير الصلوة وقالوا واما في
غيرها فبلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري
والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة
على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ
الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم
من بعد التشهد الآخر وقبل السلام فصلوته فاسدة وان صلى عليه
قبل ذلك لم تجزئه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ
في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا
عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر
بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا صلى فيها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلوته مجزئة في مذهب
مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي
وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد
الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب
على تاركها في الصلوة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها
دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض
الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى

العبدي

العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة
والندب وقد خالف الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول
جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست
من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه
وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود
الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم
ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى
التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة رضي الله عنه وابن
عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري و
عبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد
كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان
ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب
وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلوة لمن لم يصل
علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره
وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة لم يصل
فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول
ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي صلعم

وسلم

ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم ومن المواطن التي يستحب
فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك
في تشهد الصلوة كما قدمنا وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا
القاضي ابو علي بقراتي عليه قال ثنا الامام ابو القاسم البلخي قال ثنا
الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم بن كليب عن ابي عيسى
الحافظ قال ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقري ثنا
حيوة بن شريح حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي
اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم
رجلا يدعو في صلاته لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم
فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه
ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو
اصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلوة معلق
بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي وعن
علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل
محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيئا فليبدأ
بحمده والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليسأل فانه احرى ان ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله

والتسليم

عمرو بن سعيد

عليه وسلم

عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم
يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ
والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره وقال ابن
عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه
قوي وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق
اسبابه نجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع
وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق و
مواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين لا يرد وفي حديث آخر
كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة علي صعد الدعاء
وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره و
استجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تقول
اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من
خلقك اجمعين آمين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره
وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم
انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة
عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب
وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما

الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر محمد رسول الله
ولو قال بعد ذكر الله صلى الله عليه وسلم على محمد لم يكن تسمية له
مع الله وقال اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي صلى
الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس
عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن
مواطن الصلوة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي
لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم
عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع
رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل
البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد
وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم
يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن
علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل المسجد واذا
خرج لم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد وشك

عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا في الحديث
آخر القسم والاختلاف في الكفاية ومن مواطن الصلوة عليه ايضا
الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن
الصلوة التي مضى عليها عمل الائمة ولم تنكروها الصلوة على النبي
وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر
الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار
الارض ومنهم من يختم به الكتب وقال عليه السلام من صلى
علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن
مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة قال
حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره
قال حدثتني كريمة بنت محمد قالت ثنا ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة
عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء
والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد
وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده
واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام

قال محمد بن مسلمة لا دوها جا عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان
عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم
ان يقول المصلي حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض
من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة واحب
للماموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم فصل
في كيفية الصلوة والتسليم على النبي صلى الله عليه
وسلم قال ثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه
ثنا القاضي ابو الاصبغ عيسى بن سهل ثنا ابو عبد الله بن عتاب
ثنا ابو بكر بن واقد وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا
مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم
الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله
كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه و
ذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته
كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي
مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة قال

اللهم

اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد
وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في
حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي
سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه
وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن
بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا ثنا ابو عبد الله بن سعدون
الفقيه قال ثنا ابو بكر المطوعي قال ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي
بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن
ثنا يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين
عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وترحم على محمد وعلى
آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد
كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى
اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه
امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك
حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سألت
النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي
يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات
وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك
ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم
لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل
كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا
لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس
آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات
الاسلام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له
في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم

الله

اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم
له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة
ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعن ابن مسعود في
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون
على النبي الآية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن
عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول
رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير
وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك و
بركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه به الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من
اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم
صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل
بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم
اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان
يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله

في الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب بن
الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألك
لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك له احد من خلقك واعط محمدا
افضل ما انت مسئول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان
يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة
عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى
ال محمد كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل
الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله السلام كما
قد علمتم هو ما علمتم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن
تشهد على السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله
السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا
وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم
اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي
وما ولد واخرها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

السلام

السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث
عن علي رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة
وفي حديث الصلوة عنه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره
من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد
البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة
والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد
بن ابي زيد في الصلوة على النبي صلى الله عليه اللهم ارحم محمدا وال
محمد كما ترحمت على ابراهيم وال ابراهيم ولم يأت هذا في حديث
صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته

في فضيلة الصلوة على النبي والتسليم عليه والدعاء
له عليه السلام حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا
القاضي يونس بن مغيث نا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي انا
سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب
بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله
بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة
صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه وسلم عشر صلوات وحط عنه
عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات
وعن انس رضي الله عنه عليه السلام ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك
صلوة صلى الله عليه وسلم عشرا ورفع عشر درجات ومن رواية
عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل فقال لي ابشرك
ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت
عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن الحسن بن الحديث رح وعبد
الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الخباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة
وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم
علي صلوة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر
بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة
صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك او ليكثر وعن ابي
بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام
فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاءت الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلوة
عليك فكم اجعل لك من صلوتي فقال ما شئت قال الربع قال ما شئت
وان زدت فهو خير لك قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير

قال

قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل
صلوتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر لك ذنبك وعن ابي طلحة دخلت
على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره
فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة
من ربي ان الله بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي
عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته
حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعيد بن ابي وقاص من قال
حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام
دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم
علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام
ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم علي وفي آخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها
ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابي بكر رضي الله عنه الصلوة على
النبي امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من
عتق الرقاب   في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه السلام
والخ حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون

وابو الحسن الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب
ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابراهيم
عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان
يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة
قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وثم حديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد
فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل اتاني فقال
يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده
الله فقل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يتقبل
منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثل
وعن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام انه قال البخيل الذي ذكرت
عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة
قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسهم ثم تفرقوا
قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي كانت عليهم من الله ترة

ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلوة
علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء
ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عنه على غير صلوة على النبي الا تفرقوا
عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي الا كان عليهم حسرة
وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن
بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم
مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس

في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلوة من صلى عليه وسلم من الانام

حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد ابو علي الحافظ
ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابن عوف
ثنا المقرئ ثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن
عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري
سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابي مسعود ان لله ملائكة
سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي

وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى
به منكم في كل جمعة وفي رواية فلا احد الا يصلي علي الا عرضت
صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيث
ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد
من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد
اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن
بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا
بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم
وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلاتكم
معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون
عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من الصلوة في الليلة
الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل
اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها
الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا

في الاختلاف في الصلوة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز

الصلوة

الصلوة على غير النبي وروي عن ابن عباس انه لا يجوز الصلوة
على غير النبي وروي عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا على النبيين
وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض
شيوخي مذهب مالك لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء
سوى محمد عليه السلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك
في المبسوطة ليحيى بن اسحاق اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي
لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا
بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر
وبما جاء في حديث تعليم النبي الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى
آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران القابسي (الفاسي) وروي عن ابن
عباس كراهة الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول
ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله
فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة و
الصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملائكته الآية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال اولئك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي

الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا
حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم
عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة
من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها
وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة
محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث
آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حيوته وكره
مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف
في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن
الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة
وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا
ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس
عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع
هذا اللفظ في حقه تعالى وقال ابو عمران انما كره مالك ان يقال
طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى
الله عليه وسلم

مع الناس

مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي
صلى الله عليه وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس
وواجب شد الرحال الى قبر النبي صلى الله عليه السلام يريد بالوجوب
هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان منعه
وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال
زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل
اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن
ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة
والقصد الى الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه
ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل
بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين
والاعتبار بذلك كله قال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت
يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال
صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك
صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد

المهرى قد قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي إليك
حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فأقرئه مني السلام وقال غيره وكان يبرد إليه البريد من الشام
قال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلوة فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقال مالك في رواية ابن وهب إذا سلم
على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى
القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا أرى
أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي
قال ابن أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم
فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع
كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول
السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي ثم ينصرف
وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان يقف على قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي
بكر وعمر رضي الله عنهما وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لأبي
بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على أبي بكر
وعمر قال القاضي أبو الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم

بلفظ

بلفظ الصلوة ولأبي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف
وقال ابن حبيب ويقول إذا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم باسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا
وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب
رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد إلى الروضة
وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد
الله فيهما وتسئله تمام ما خرجت إليه والعون عليه وإن كانت فيهما
ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل
وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر
من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا
تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد
ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج يعني في
المدينة وفيما بين ذلك قال محمد وإذا خرج جعل آخر عهده
الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرجت

فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب فضلك وفي رواية اخرى فسلم مكان فصل وفيه ويقول
اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من
الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا
المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا
يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله عنها قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم
ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله
والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب
رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي
وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل
المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء
وقال فيه ايضا ولا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما
فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه
يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام

المرة

المرة او المرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة
فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع
ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول
هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء
من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا
منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي
ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة
مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن
سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا
يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى
النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة
فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل
في البيوت   فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه
وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان

ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد
هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن
عمر ومالك بن انس وغيرهم رضي الله عنهم وعن ابن عباس انه
مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال
ثنا الحسين بن الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن
ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي
هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة والتسليم على
النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن
عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد
قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم وقال مالك رحمه الله تعالى سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف
قال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا هذا لا يرفع
فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت
ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر

المسا

المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد يعني ابن
مسلمة ويكره في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهر على
المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم وليس مما يخص به المساجد
رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات
الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام
صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد
الحرام قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اختلف الناس في معنى
هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة
فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة
من اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول
افضل من الصلوة في سائر المساجد بالف صلوة الا
المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
افضل من الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه صلوة في المسجد الحرام خير من مائة
صلوة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول بتسعمائة وعلى
غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه
وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل
مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب
وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي

وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في
المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي
صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه صلوة في المسجد
الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة وروى قتادة
مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة
في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل
بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه
الحديث مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه
حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو
في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في
النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان
وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا
نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة و
مثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي
حديث آخر ومنبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان
احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي
ما يبينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو
قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال
الطبري رحمه الله واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات

ولم يكن

ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله
ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا
وهو الاظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد
منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض
ويوجب الشرب منه قال الباجي وقوله روضة من رياض الجنة
يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة فيه
يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قال
الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها احد
الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة وقال فيمن تحمل عن
المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة
كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد
من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه
السلام من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم
القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من
الآمنين يوم القيامة وعن ابن عمر عنه عليه السلام من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال
تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله

آمنا قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يامن من
الطلب من احدث حدثا ولجأ اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان
قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا
رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض اللون
فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة
ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم
الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك
وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن
الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وحشر يوم القيامة من الآمنين قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
قرات على القاضي الحافظ لابي علي رحمه الله حدثنا ابو العباس
العذري قال ثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي ثنا
الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد
سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان
بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس
يقول سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت

سعدون

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا
الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا ما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا ما دعوت الله بشيء في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال
سفيان وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي وانا ما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال
محمد بن ادريس وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن
الحسن وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن
رشيق قال فيه شيئا وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا
وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الآخرة قال العذري وانا ما دعوت
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي
قال ابو علي وانا قد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها
وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم يكن

في ابواب ليتعلق بالفصل الذي قبله جريا على تمام الفائدة والله
الموفق للصواب   فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع في الاحوال البشرية ان يضاف
اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان
مات او قتل الاية وقال ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى الله عليه
وسلم وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما
اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله
تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر
الذين يمكنكم مخاطبتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته
ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن
في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه
الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل
صلوات الله عليهم فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين
خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم
بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته

فظواهرهم

فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ
عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والموت والفناء
ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من صفات
البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة
من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف
الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم
لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالطتهم
كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم
متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر
ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا
من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن
مع الملائكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل
الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست
كهيئتكم اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني فبواطنهم
منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات
وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الاكثر يحتاج
الى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين بعون الله
وهو حسبي ونعم الوكيل   فيما يختص

الباب الاول فيما يختص في

بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات
الله عليهم قال القاضي ابو الفضل وفقه الله اعلم ان الطوارئ من
التغيرات والآفات على آحاد البشر لا يخلو ان تطرأ على جسمه
او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرأ
بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم
المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان
وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار
وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم
وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت
البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه
عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما
سنبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل
في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم
منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم
بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح
العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او
الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا
ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون
في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه السلام

قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم في اخبار الله
تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمأنينة القلب وترك
المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه و
اراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان ابراهيم
عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته
دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله اولم تؤمن اي تصدق
بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سأل
زيادة يقين وقوة طمأنينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم
الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على
الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من
النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين
اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله
سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله
الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت
طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول
بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء
الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس
انه اري من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه
وقول نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابراهيم

نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة
ان تظن هذا بابراهيم عم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الموتى
فلو شك ابراهيم عم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او
ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والشفقة
ان حملت قصة ابراهيم عم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت
فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن
الكتاب من قبلك الآية فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك
ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات
شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل
هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسئل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت
في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله
تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب
العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك
الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء
ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله وهو عليه السلام كان يكذبه فيما يدعو اليه فكيف

يكون

يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره
ومثل هذه الآية قوله الرحمن فاسئل به خبيرا المامور ههنا غير النبي
صلى الله عليه وسلم ليسئل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه
السلام هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقيل ان هذا
الشك الذي امر به غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين
يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من
التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى
الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من
قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدا الكلام اجعلنا من
دون الرحمن الآية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه
مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسئل الانبياء عليهم السلام
ليلة الاسرا عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى
السؤال فروي انه قال لا اسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل
سلوا الامم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول
مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله
اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره
لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب

يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في
علمهم بانه رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شك (شكهم)
فيما ذكر في اول الآية وقد يكون الخطاب على مثل ما تقدم اي قل لمن
امترى يا محمد في ذلك فلا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الآية
افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا الآية وان
النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك وقيل فسل تزدد
طمأنينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر
فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من
غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلت المعنى في ذلك
ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل
بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من
وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل
ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل
وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا
المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير

بسواه مما لا يليق بمنصب العلي المختص بالانبياء عليهم السلام
وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدا الوحي من قوله
لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه (فيما اتاه [illegible])
من الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا يحتمل قوته
مقاومة الملك واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا
ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل
لقائه الملك واعلام الله له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من
العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما
روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام
ثم اري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه
الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حاله بنية البشرية
وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه
الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن
ابن عباس رضي الله عنه مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين
ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق
عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء

ثم اتاني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث
عائشة رضي الله عنها في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة
قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم
يكن ابغض اليّ من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش
بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه
فلأقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء
يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل على
صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال و
قصده لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل وقبل اعلام الله له
بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن
شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة رضي الله عنها اني اذا خلوت
وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع
صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول
لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون
والفاظ يفهم منها معنى الشك في تصحيح ما رآه وانه كان كله
في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله له انه رسول الله كيف
وبعض هذه الالفاظ لا يصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له
ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه

وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه
القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك
من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر
جبريل بكشف رأسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتحقق
صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي يأتيه
ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم وليختبر حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد
بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله
عنها ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث
اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم
فلما جاءه جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث
الى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم
فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل انها مستثبتة
بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه و
سلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه و
سلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا

ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا في حديث به ولا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم قال ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى
الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الفعل كما ذكرناه
او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيبهم له كما قال تعالى فلعلك
باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا و
يصحح معنى هذا التاويل حديثا رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن
عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة
للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم
على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه و
تدثر فيها فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر
او خاف ان الفترة لامر بسبب منه فخشي ان يكون عقوبة
من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد الشرع بالنهي عن ذلك
فيعترض به ومعنى هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب
قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس
عليه السلام فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق
عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه
وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه بالعقوبة وقيل نقدر
عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر بالتشديد وقيل نؤاخذه بعقوبة
ذنبه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على

الاستفهام

الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات
ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم
وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله
معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء
وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه
كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به
من التوجه لامر امره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس
غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ارسال يونس عليه السلام
ونبوته انما كانت بعد ان نبذه الحوت واستدل من الاية
بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من
يقطين وارسلناه الاية ويستدل ايضا بقوله تعالى
ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه
ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذن قبل
نبوته فان قيل فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق
في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان
يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام
بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو

غُبيرة واصلاً من غيم السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال
غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس
وكذلك لا يفهم من الحديث انه لا يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين
في اليوم لو ليس يقتضيه بلفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات
وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة
الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة
الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دُفع اليه من مقاساة البشر
وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو
ومصالح النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو
في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى
الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانةً واعلاهم درجةً
واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه و
تفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه
رأى حال فترته عنها وشغله بسواها غضاً من علي حاله و
خفضاً من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا
اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير
من الناس وحام حوله فقارب ولم يَرِد وقد قربنا غامض
معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات

والغفلات

المتصوفة بيان

والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت
طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى
الله عليه وسلم عن هذا جملةً واجلّه ان يجوز عليه في حال سهو او فترة
الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلام
لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون
الغين هنا على قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله
سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهاراً للعبودية
والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة
يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى
الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام
تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكراً لله وملازمة لعبودية
كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبداً شكوراً وعلى هذه
الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه
السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة
فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله
لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون
من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في آية
نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على

الهدى

في اية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان
وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك
لا يجوز على الانبياء عليهم الصلوة والسلام والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا
في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في اية منها
دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف
واية نوح قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما
قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى الاذن وقد تجوز اباحة السؤال
فيه ابتداء فنهاه الله ان يسئل عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه
من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله تعالى نعمته عليه باعلامه
ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي
كذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى بالتزام الصبر
على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة
التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد عليه
السلام اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال
ومثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء
منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا
وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله تعالى لنبينا
صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن
اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك

ولا يضرك

ولا يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة الاية وقوله
لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله وقوله فان يشا الله يختم على قلبك وقوله وان
لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله عليه السلام يا ايها النبي اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه
عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا
ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله يسر امره بالمكاشفة و
البيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذا السبيل
فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس
كما قال لموسى وهارون صلى الله عليهما لا تخافا انني معكما لتشتد
بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية
وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل
هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله و
كذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما
قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشا الله يختم على
قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان
هذا حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله

اتقي الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والقرينة
عدمه ايضا ونظيره يا ايها ... ولا تطرد الذين يدعون ربهم
الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين
واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبياء
عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف
السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا
هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن
عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد
استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول
ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير
كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او
نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه
آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا
لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان
توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من
توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد

اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم
لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا
عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم
عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الآية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما الى
قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد
ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان
به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب
هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد
اتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة
وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا
كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشتبه عليك بقول ابراهيم
في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في
سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم
التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه
انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه
الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربي قال
الزجاج وقوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي

ان عندكم وبين عليه انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك بالله
طرفة عين قال الله تعالى اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم
عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من
الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى
قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني
بمعونته آتي مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على سبيل الاشفاق و
الحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما
معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او
لتعودن في ملتنا ثم قال بعده عن الرسل قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك
لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من
ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء
بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا
قبل كذلك ومثل قول الشاعر فما عاد ابوالا ... قبل خبر ذلك ٤
كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى ليس هو
من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها
قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم الخ على السدي وغير واحد وقيل

فقال

ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هاهنا التحير ولهذا
كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه و
يتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام حكى معناه القشيري رحمه الله
وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن
تعلم قاله علي بن عيسى رحمه الله تعالى ابن عباس رضي الله عنه
لم يكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل
وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى
وجدك فهدى بك ضالا عن جعفر بن محمد رضي الله عنه ووجدك
ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي
وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنه ووجدك ضال فهدى اي
اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال
المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم
يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند
هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد
ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى
وانزلنا اليك الذكر الآية وقيل وجدك لم يعرفك احد بالنبوة
حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا من المفسرين قال
فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله
فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا

بخبر حقيقة قال ابن عرفة قال الازهري معناه من الناسين
وقيل الغفلة في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى
ان تضل احديهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري
قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعوا الخلق الى الايمان
وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض و
الاحكام قال فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل مؤمنا بتوحيده
ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا
وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله وان كنت من قبله
لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا
غافلون بل حكى ابو عبيد الهروي ان معناه لمن الغافلين عن
قصة يوسف عليه السلام اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث
الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قد يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع
ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه
فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم
يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال
هو موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان
عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق

على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله
عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله عليه السلام بغضت
الي الاصنام وقوله في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حين
كلمه عمه واله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد
كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت
منها من صنم تمثل لي شخص ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه
فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى
باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب
وهو صبي وراى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم لا تسئلني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط
بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا اخبرتني عما اسئلك عنه فقال
سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق
الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة
في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه
السلام   قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد بان
لما قدمنا عقود الانبياء عليهم السلام في التوحيد والايمان
والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من
عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها
قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء

نوقة ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتأملها قلبه
وجده وقد قدمنا منه في صحة نبينا عليه السلام في الباب
الرابع الاول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما ورائه الا ان
احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا
فلا يشترط في حق الانبياء عليهم السلام العصمة من عدم
معرفة الانبياء ببعضها واعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وهم عليهم
فيها اذ هممهم متعلقة بالآخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها
وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين
هذا في الباب الثاني ان شاء الله ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون
شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم
المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم
وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع
عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم
في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان
كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به
ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك
عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده

فيما لم ينزل

فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه
في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة انما اقضي
بينكم برايي فيما لم ينزل علي فيه رواه الثقات وكقصة اسرى بدر
والاذن للمتخلفين على راي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده
مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى
خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليهم الخطاء في الاجتهاد لا على
القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب
عندنا ولا على القول الآخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى
الله عليه وسلم من الخطاء في الاجتهاد في الشرعيات ولان
القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي
صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء
ولم يشرع له قبل هذا فاما ما عقد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قلبه واما
ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم
منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جميعها
عنده اما بوحي من الله او اذن له ان يشرع في ذلك ويحكم
بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت
حتى استقر علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على
التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة
فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة

اليه اذ لم يبعث لدعوة اليها لا يعني واما ما تعلق بعقده من ملكوت
السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته
الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء و
الاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم
انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية
اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده
من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله اني لا اعلم الا ما علمني
ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين وقول موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمن
مما علمت رشدا وقوله عليه السلام صلى الله عليه وسلم اسئلك
باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسئلك بكل اسم
سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد
قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى
ينتهي العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها
ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد
والشرع والمعارف والامور الدينية   اعلم ان الامة مجمعة
على عصمة النبي من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى
ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا الحافظ ابو علي رحمه الله
ثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا ابو بكر البرقاني وغيره قالوا ثنا

ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل الصفار ثنا عباس الترقفي
ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد
عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن
وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن
الله اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير
وعن عائشة بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه
وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين
انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك
وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل
احد من بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا
اقتدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين
له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال
شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه
له في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح
قال ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع
على الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه

لكن ساترة حتى يقضوا ما يحتاجون اليه لما ذكرت في قوله اي مسلمين ربت
اغوتني وهذا على الاية قوله الله كما قلت وفي حديث
ابي الدرداء عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس جاء بشهاب
من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر
تعوذه بالله ولعنه له ثم اردت اخذه ولكن ذكرت وقال لولا
دعوة اخينا سليمان لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الاسرا
وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به
منه ذكره في الموطا وهو لم يقدر على اذاه بمباشرة تسبب
بالتوسط الى عداه كعقبة مع قريش في الائتمار بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة
اخرى تصور يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله
تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية ومرة ينذر بهم
عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره
وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي من
لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في
الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان
يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله
ليسلطها علي فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة

الى قوله

الى قوله تعالى واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي
يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل
النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغريك ويحركك والنزغ ادنى
الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه
او رام الشيطان من اغرائه به وخواطره وادنى وساوسه ما لم يجعل
له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته
اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه
وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان
في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد
في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم
ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري
يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قلت فما معنى قوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في
امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل منها
السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة و
القاء الشيطان فيها اشتغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا

للتأويل حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما شاء لو يدخل غير
ذلك على الوجه الى معين من النسخ بعضه هو سوء التأويل وازيله
الله ويفسخ ذلك حتى تتبين ويحكم آياته سنته في الكلام على
هذا الآية فيه ما يشبع من هذا انك انت الله تعالى وقد حكى الحسن
قضية رحمه الله انه قول من قال بتسلط الشيطان على
ملك سليمن وغلبته وان مثل هذا لا يصح والذي ذكرنا قصة سليمن
مبينة ذكره بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له
وقال ابو جعفر حكى في قصة ايوب وقوله تعالى اني مسني الشيطن
بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو
الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله
وتدبيره ليبتليهم ويثيبهم قال حكى عن ابن عباس وقد قيل ان الذي اصابه
الشيطان هو وسوسته بان احدا كان قبله فما شغى قوله يوشع
وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه الشيطان
ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلوة يوم الوادي
ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في ذكر قتله
هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع
هذا على مورد مستمر كلام العرب وصفهم كل قبيح من شخص
او فعل بالشيطان او فعله قال تعالى كأنه رءوس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان

بلشع

بلشع لا بد من الجواب عنه اذ لم تثبت لنا في ذلك الوقت نبوة
فتى موسى عليه السلام قال تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه نبئ
بعد موت موسى عليه السلام وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل
نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف قد ذكرنا انها كانت قبل نبوته
وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان قولين احدهما
ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك
اي انساه ان يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام وايضا فان
مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع
بوسوسة ونزغ وانما هو شغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما
من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد
به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان
بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان
اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط
الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر
هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم
عن الصلوة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي
وعلة لترك الصلوة به فهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم
فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله
واما قوله عليه السلام فقامت الولائد الواحدة بعقبه

المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم
فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا
سهوا ولا غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل
المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق فيما قال
اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في
ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني ومن قال
بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك
وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند
القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى
دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على
ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ
الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه
لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضاء والسخط و
الصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قلت
يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم في الرضا
والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما
اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة
على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا
وان المعجزة قائمة مقام قول الله صدقت فيما تذكره عني وهو

يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما
نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي
وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا
اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من
غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا
واجماعا كما قاله ابو اسحاق ولقد توجهت ههنا لبعض
الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه و
سلم لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
ويروى ترتضى وفي رواية وان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق
العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم
السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على
الهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على
لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لو نزل عليه شيء
يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء
ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل عليه السلام جاءه
فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن له

لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من
رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية اعلم اكرمك
الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما
في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان
هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم
متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون
بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي
بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء
والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في
الصلوة واخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة واخر
يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه فسها واخر
يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي عليه السلام لما عرضها
على جبريل عليه السلام قال ما هكذا اقرأتك واخر يقول بل اعلمهم الشيطان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن
حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد
منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية
والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

فيما

فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا
امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله تعالى
انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف
ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به و
لا حقيقة معه واما حديث الكلبي فمما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره
لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون
والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما
من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله
عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل
عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه
الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد
النبي صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه
عليه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم
او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك
كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع

عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا
او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقيه الشيطان او يكون للشيطان
عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات الاية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة
نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام
متناقض الاقسام ممتزج المدح والذم متخاذل التأليف والنظم
ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا مما لا يخفى على ادنى متأمل
فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام
علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي
المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة
وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم
المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في
قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في
هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان
ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت
بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء
حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة

القضية

القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي
عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على
بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين
الانس او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس
على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية
ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان
تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا
يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون
هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن
اليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام
افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي
تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الاية
الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان
يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد
روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون و
قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد
اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبته قريش

وما كادوا

وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان
به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب
الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اُخر ما ذكرناه
من نص الله على عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق في الاية
الا ان الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به
الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته
صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية واما المأخذ الثاني فهو مبني
على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل
حال فقد اجاب عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين
فمنها ما روى قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته
سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم
النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي مثله في حالة من احواله ولا
يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة
لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي
صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه
وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما
اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله
صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على
لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على

تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي
على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان
الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل
وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره
القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد
كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده
وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته
كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى
الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين
لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى
الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى
بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما
القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من
حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة و
سبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الاية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني

الى تلاوته وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويزيل
اللبس ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم
من السهو اذا قرا فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في
الاية انه حدث نفسه وقال اذ تمنى اي حدث نفسه وفي رواية
لابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس
طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران بل السهو
عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه
ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز
ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة
العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد
بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية و
بهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون
ان الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في
هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله تعالى كل هذا من قولهم
ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد
بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه
اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك
اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير
من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي

نسخه

نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي به من يشاء وما يضل به
الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم
الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ ذكر اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشيء من ذمها
فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله
عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله
لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله
عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله
تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين للناس الحق من ذلك
من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما
ضمنه الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن ذلك ما روي
من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب عن ربه
فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا
فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار
الوارد في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم
وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه

من كذب الحديث قال اللهم ان العذاب مستحكم وقت كذا وكذا فلم
ذلك لم يأت الا قوم يونس لما آمنوا كشف عنهم عذاب الخزي في
الحياة وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله
ابن مسعود رضي الله عنه وقال سعيد بن جبير غشيهم العذاب كما يغشى
الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي اشتبه بر
سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث
اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل
صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب
كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له اكتب
عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت
وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله
عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد كافرا وكان يقول ما يدري
محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل
للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه
الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن
ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر
افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم
العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر

بعض

مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين
ولا ذكر احد من الصحابة رضي الله عنهم انه شاهد ما قاله وافتراه
على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك
هم الكاذبون وما وقع من ذكره في حديث انس وظاهر حكايتها
فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل
البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه
حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث
ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس
الذي خرجه اهل الصحيح وذكرناه وليس فيه عن انس قول
شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله
عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف
فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس
فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال
له النبي عليه السلام كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او
كلمتين مما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اظهار
الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها
ويقتضي وقوعها بقوة فطنة الكاتب على الكلام ومعرفته به

وجوده حقا وقطعة لا يتفق ذلك بمعارض او حكم الناسخ ان
ان يسبق لا ناسخه او مبتدأ الكلام الحق لما يتم به وما
يتفق ذلك جهة الكلام لما لا يتفق ذلك تلاوة والصورة وكذلك
قوله عليه السلام ان صح كل اصحاب مقدر يكون هذا انما كان فيه من
مقاطع الآيات وجمع وقرأنه اثرت جميعا على النبي صلى الله عليه
وسلم فانه اصرح بها وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاول قبل ذكر النبي فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم
كما عرضناه فصوبه له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك
ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست
من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير هذا قرأ
بها الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف
ننشزها وننشرها ويقض الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب
ريبا ولا يثبت للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل
ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الى الناس غير القرآن فيصف الله تعالى ويسميه في ذلك
كيف شاء هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله
سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام و

ولا اخبار

ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه
فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره
في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه
معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه
وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه
وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق
جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي
شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها
ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج
ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين اجلاهم من خيبر
باقرار رسول الله لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم
كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة
من ابي القاسم فقال له كذبت يا عدو الله وايضا فان
آثاره واخباره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها
ولم يرد في شيء منها استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط في
قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل
كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به على الانصار
في تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور
التي ليست في الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله

لا احلف على يمين فارى خيرا منها الا فعلت الذي حلفت
عليه وكفرت عن يميني وقوله صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون
الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين
كل ما في هذا من مشكل هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها
وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار
بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه
ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء
الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط
مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار
منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب
النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل
بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع
فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف
فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ
عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه
مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء
خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا
بتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس

طريقه

طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة و
لا الاتسام بالكذب في امورهم واحوال دنياهم لان في ذلك كان يزري
ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال
اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم
وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا
به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم
منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب
ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه . فان قلت فما معنى قوله
عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم
بن جعفر قال ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن
محمد ثنا ابو عبد الله بن الحذاء ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك عن
داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت
ابا هريرة رضي الله عنه يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة
العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت
الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم
يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته
فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال له
ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك
ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو

بقية التعسف والاعتراض وهكذا اقول اما على القول بتجويز
الوهم والغلط فيما ليس طريقه البلاغ وهو الذي زيفناه
من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب
من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في
مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره
لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه
الصورة ليسن لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في
موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه
فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى
الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق
وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم
عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا
عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثان ان
قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن
العدد اي لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه
ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من
قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما
ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما
قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا وكل من هذه

الوجوه

الوجوه يحتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي
رحمه الله والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان
قوله عليه السلام لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه
وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا
وكذا ولكنه نُسّي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر لست
انسى ولكن انسّى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة
ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل
نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نُسّي حتى
سأل غيره فتحقق انه نُسّي واجري عليه ليسنّ فقوله
على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم
تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نُسّي ووجه آخر استثرته من
كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان لان
النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال فكان صلى
الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله
عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا
ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت
خلف في قول واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة
في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان

قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها
اختي فاعلم ان هذه الكلمات كلها خارجة عن الكذب لا في القصد
ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب
اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اي ان كل مخلوق
معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل
بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم
معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو
خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد
بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء
نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال
مع انه لا يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم
وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله
وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق
خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو على طريق التبكيت
لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين
في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى
يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم

قد سماها

قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في
حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته
صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما
كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام
بمؤاخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده
لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع
آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى
غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن
والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى
عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه
اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين
اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا
الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا
اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف
فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما
لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون
اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله انا اعلم بما يقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد

والامور الشرعية وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر
مما لا يعلمها احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في
خبرهما فكان موسى عليه السلام اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على
الخصوص بما علم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله
ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم
اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا
وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه
وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه
ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه
عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا
من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه
السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر
وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم
من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي صلى الله عليه وسلم واما الانبياء
فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه
بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر
نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي
غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول
عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص

وفي

وفي قضايا معينة لم يحتج لاثبات نبوة الخضر ولهذا قال بعض
الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم
فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب
لا للتعليم   واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا
يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام
ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه
المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش
والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي
ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع
الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك
لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في
التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك
من الكافة والجمهور قائلون بانهم معصومون من ذلك من
قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال
لا قدرة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة
من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري
وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما
احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا
يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت

طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من
الصغائر كعصمتهم من الكبائر وقالوا اختلاف الناس في الصغائر
كعصمتهم من الكبائر وقالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها
من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي
الله به فهو كبيرة وانه انما سمي الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر
منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال
القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة
الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك
بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشية في العفو
عنها الى الله وهو قول القاضي ابو بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة
الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم
معصومون من تكرار الصغائر وكثرتها او يلحقها ذلك بالكبائر ولا صغيرة
ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء
والخساسة فهذا انتفا تعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل
هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه
والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل
المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى
الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا
وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال

افعالهم

افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على
ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل
مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز
منداد وابو الفرج عن مالك رحمه الله التزام ذلك وجوبا وهو
قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وهو قول اكثر اهل
العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية
واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة
وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به
مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد
قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ
ليس كل فعل من افعالهم يتميز مقصده به من القربة او الاباحة
او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله
معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول في تجويز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون على انه لا يقر
على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيئا فسكت عنه صلى
الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره
ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من
مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله

فيقطع بيانه في الزجر والنهي عن فعل المكروه وأنه قد علم من
دين الصحابة قطعاً الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء بأقواله فقد نبذوا خواتيمهم
حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية
ابن عمر إياه جالساً لقضاء حاجته مستقبلاً بيت المقدس
واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة أو العادة بقوله
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه
وسلم هلا أخبرتيها أني أقبل وأنا صائم وقالت عائشة رضي
الله عنها محتجة كنت أفعله أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي أخبر بمثل هذا عنه
فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم
بحدوده والآثار في هذا أعظم من أن نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة
في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما
أنكر عليه السلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه وأما المباحات
فجائز وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وأيديهم
كأيدي غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت
له صدورهم من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار
الآخرة لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات مما يتقوون به على

سلوك

سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما أخذ على هذه
السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه أول الكتاب طرفاً
في خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا
وعلى سائر أنبيائه عليهم السلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات
بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية وقد اختلف
في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون
والصحيح تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب
فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فإن المعاصي والنواهي إنما
تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام
قبل أن يوحى إليه هل كان متبعاً لشرع قبله أم لا فقال جماعة
لم يكن متبعاً لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول
غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما
تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج
القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى
فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد
الخبر من طريق السمع وحجته أنه لو كان ذلك لنقل ولما أمكن كتمه
وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به من
سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر
من ذلك جملة وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك عقلاً قالوا لأنه

يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا على هذا التحسين والتقبيح
وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي
ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلام
وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل
ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي
والفرقة الثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا
هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم
وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن
كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات
الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب
اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء
من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى
اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعده اذ لم يثبت عموم
دعوة عيسى بل الصحيح انه لم تكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه
السلام ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا ولا للاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل
هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم
تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه

ليس

ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية وشرائعهم
مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد
وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول
في سائر الانبياء غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع
عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل
فاينما تصور له اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال
بوجوب الاتباع فيلزمه بمساق الحجة في كل نبي

هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى
معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو
والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق
الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة
به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما
طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل
واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول
فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب
وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي عليه السلام
وعصمته من جوازه عليه السلام قصدا او سهوا فكذلك
قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طروء المخالفة فيها لا عمدا
ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطروء هذه

العوارض

عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن والمعتمد في احاديث
السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا وامثالها مال ابو اسحاق وذهب
الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية
والحكام والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليهم
لما تواتر من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين
الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة
ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح
في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال
عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
ثم قال بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب
افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام اني لا انسى او انسى
لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه
الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات
النقص واغراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون
ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون
حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول
الآخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله
عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع
فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه

فيها

فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة
الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن
ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه
السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط
من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو و
النسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام صلى
الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب
علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها
بعد هذا ان شاء الله تعالى   في الكلام على الاحاديث
المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا في الفصل
قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة
وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية
على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط
القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام
في الصلوة ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام
من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين
الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر
خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه
وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول و

وارتفع الاحتمال وشرط أنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه
ثم يتبع ذلك بسنة تتعلق فائدة الحكمة فيه كما تقدم وأن
النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام إنما أنا بشر أنسى
كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد أذكرني
كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى أنسيتهن وقال عليه
السلام إني لأنسى أو أنسى لأسن قيل هذا اللفظ شك
من الراوي وقد روي إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن
وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه
التقسيم أي أنسى أنا أو ينسيني الله قال القاضي أبو الوليد
الباجي يحتمل ما قالاه أن يريد أني أنسى في اليقظة و
أنسى في النوم أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن
الشيء والسهو أو أنسى مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف
أحد النسيانين إلى نفسه إذ كان له بعض السبب فيه ونفى
الآخر عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من أصحاب
المعاني والكلام على الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لأن النسيان ذهول وغفلة
وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة
ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله عليه السلام

في رواية

في الرواية الأخرى إني لا أنسى وذهبت طائفة إلى منع هذا كله
عنه صلى الله عليه وسلم وقالوا إن سهوه عليه السلام كان عمدا
وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد
لا يحلى منه بطائل لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة
لهم في قولهم إنه أمر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله إني لأنسى
أو أنسى فقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد
والقصد وقال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وقد مال إلى
هذا عظيم من المحققين من أئمتنا وهو أبو المظفر الإسفرايني ولم
يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين
في قوله إني لا أنسى ولكن أنسى إذ ليس فيه نفي حكم
النسيان بالجملة وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله
بئس ما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي أو نفى الغفلة
وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي
بعضها ببعضها بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة
وقيل إن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر و
المغرب والعشاء وبه احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلاة في
الخوف إذا لم يتمكن من أدائها إلى وقت الأمن وهو مذهب
الشاميين والصحيح أن حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو
ناسخ له فإن قيل فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي

ومنه قوله إن عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم أن للعلماء عنه وعن نحوه
أجوبة منها أن المراد بهذا أن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الأوقات
وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا
التأويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ما ألقيت علي نومة مثلها
قط وقوله عليه السلام إن الله قبض أرواحنا ولكن مثل هذا إنما يكون
منه لأمر يريده الله من إثبات حكم وتأسيس سنة وإظهار شرع
وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن يكون
لمن بعدكم الثاني أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث
فيه لما روي أنه كان محروساً وأنه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع
غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور
فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن الاحتجاج
به على وضوئه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث آخر
كيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم أقيمت
الصلاة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه
في النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس
وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام إن الله قبض أرواحنا
ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا فإن قيل فلولا عادته من
استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب
إنه كان من شأنه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة أول الفجر

ولا يصح

لا يصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة
فوكل بلالا بمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم
عن مراعاته فإن قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت
وقد قال عليه السلام إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني
وقال لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها فاعلم أكرمك الله
أنه لا تعارض في هذه الألفاظ أما نهيه عن أن يقال نسيت
آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في
هذا لم تكن منه ولكن الله تعالى اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت
وما كان من سهو أو غفلة من قبله تذكرها صلح أن يقال
فيه أنسي وقد قيل إن هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق
الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه والآخر على طريق
الجواز لاكتساب العبد فيه وإسقاطه عليه السلام لما أسقط
من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى
عباده ثم يستذكرها من أمته أو من قبل نفسه إلا ما قضى الله
نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز أن ينسى
النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز أن ينسى منه
قبل البلاغ ما لا يغير نظماً ولا يخلط حكماً مما لا يدخل خللاً
في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه
وتكليفه بلاغه

في الرد على من أجاز عليهم الصغائر عل

ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء عليهم
السلام من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا
ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به
مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف
بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف
فيما احتجوا به قديما وقامت الادلة على خطا قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله
تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين و
المؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك و
قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان
جاءه الاعمى الآية وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله و
عصى آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما آتاهما وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله عن يونس
سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصة د
اود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا

واناب

واناب الى قوله فتاب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص
من قصته مع اخوته وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى فقضى
عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم
في دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
ونحوه من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف
ذنوبهم في حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في
اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الآية
وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله
عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه
الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة
وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له
وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن
نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو
وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك
آدم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء
وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لامته وقيل

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انه ليعود وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ثم
نزلت ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الاية
وبالمؤمنين في الاية الاولى بعدها قال ابن عباس المقصود الاية انك
مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال معنى المغفرة انها تبرئة
من العيوب واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل
ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول
قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك
لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل
ظهره من اعباء الرسالة حتى تبلغها حكاه الماوردي والسلمي
وقيل ازلنا وحططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل
ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك
حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا
لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ان ينقضه
فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه
وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا
وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته
من ذنوب لو فعلها لاثقلت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل
عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه
من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه
معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال
نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا
وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال
الله له فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل
وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا
الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم
يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن
ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم
يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح
كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه
عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له
اسرى حتى يثخن في الارض الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله
عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء
فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي
الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض
الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه
لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله

عليه وسلم

ولا علة في المحاباة بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله
سبق فاختلف المفسرون في معنى هذه الاية فقيل معناها لولا انه
سبق مني اني لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي
ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب
السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا
القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم
ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه
سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي
الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير
في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام
الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في
الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل
منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على
صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال
الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل
فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم

وكلهم

وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري
وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه
الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رأيه ورأي من اخذ
بمأخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان
هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين
عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك
عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت
ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما
لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه
الله عن ذلك قال القاضي قد خرج هذا الخبر اهل الصحيح وقال القاضي
بكر بن العلاء اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ان تأويله
وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا
فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر
بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في شأن الاسرى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله
فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة
اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه
في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار

او تعذيب هذا معنى كلامه واما قوله عز وجل عبس وتولى
الآيات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله انه ذلك
المتصدي له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف
له حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله
عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا
عنه واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة وما قصه
الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده
والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل المراد
بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو
تمام واما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة
وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اي جهل
وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم
من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له
وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية قيل
نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان
انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا
لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين
وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا

في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن
يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما
اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر
وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر
الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان
ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن
حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان
يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا
بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي
عنها لانه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا
قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان
الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى وقال فتاب عليه وقوله في حديث
الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة
فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل
ان شاء الله تعالى واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها
آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيها ابق و
ذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه

عن قومه ففرّ أي لم يرد العذاب وقيل لأنه تقدّم العذاب ثم عفا
الله عنهم فاستحى ان يلقاهم بوجه كذّاب ابداً وقيل بل كانوا
يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة
وقد تقدّم السلام انّه لم يكذبهم وهذا كلّه ليس فيه نصٌّ على معصية
الا على قول مرغوب عنه وقوله اذ ابق الى الفلك المشحون قال
المفسّرون تباعد واما قوله انّي كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء
في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون
لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عمّا حُمّله او لدعائه بالعذاب
على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي
في معناه نزّه ربّه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافاً و
استحقاقاً ومثل هذا قول آدم وحوّاء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا
السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة
وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت
لما سطره فيه الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدّلوا وغيّروا
ونقله بعض المفسرين ولم ينصّ الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث
صحيح والذي نصّ الله عليه قوله وظنّ داود انّما فتنّاه الى قوله
وحسن مآب وقوله فيه أوّاب فمعنى فتنّاه اختبرناه واوّاب
قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود
ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها

معاتبة الله

معاتبة الله على ذلك وتنبيهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي
ينبغي ان يعوّل عليه من امره وقيل خطبها على خطبته وقيل بل
احبّ بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي انّ ذنبه الذي استغفر
منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلّمه بقول خصمه والذي ضعّف
في الاخبار لداود من ذلك حتى احاديث نقدوا ابو تمام وغيره
من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر
يثبت ولا يظنّ بنبيّ محبّة قتل مسلم وقيل ان الخصمين الذين
اختصما اليه رجلان في نعاج غنمهما على ظاهر الآية واما قصة
يوسف واخوته فليس على يوسف منها تعقّب واما اخوته فلم
تثبت نبوّتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدّهم
في القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نُبّئ
من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا
صغار الاسنان ولهذا لم يميّزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا
قالوا ارسله معنا غداً يرتع ويلعب وان ثبتت لهم نبوّة
فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همّت به وهمّ بها
لولا ان رأى برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين انّ همّ
النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة لقوله عليه السلام عن ربه
اذا همّ عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية
في همّه اذاً واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فانّ

الهم

او اوحت على النفس لنبيه وانما لم توطن عليه النفس مرة
محمودة وقد اوجدها الله المعفو عنه بهذا والحق يكون التضرع فيهم لكنك
فى هذا او يكون قوله وما اوجب تحرج النفس الآية اى ما ابتهجت فى هذا الهم او
يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف لى بلغة النفس فى
ذلك قبل وبعد ذلك كيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف
لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير اى ولقد همت به ولولا ان رأى
برهان ربه لهم بها وقد قال تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت
هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الآية قيل فى
رؤية الله وقيل الملك وقيل همه بها ان يضربها ويدفعها وقيل همه بها
امتناعه عنها وهم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها و
قيل هذا كله قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى
يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة
فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى عليه السلام فالذي
ذكره بعد نص الله تعالى انه من عدوه وقيل كان من القبط الذين
على دين فرعون ودليل السورة فى هذا كله انه قبل نبوة موسى و
قال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية فى
ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال
ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر

وقال

وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة
يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى
التلاوة وقوله تعالى فى قصته وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء
بعد ابتلاء قيل فى هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه
فى التابوت واليم وغير ذلك وقيل اخلصناك اخلاصا قاله ابن
جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة فى النار اذا خلصتها واصل
الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل فى عرف الشرع
فى اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي فى الخبر الصحيح من ان ملك الموت
جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى
عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه
جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد
تصور له فى صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك
الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك
الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه
واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على
هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تأويل شيخنا الامام ابي
عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه
ولطمه بالحجة وفقء عينه بالحجة وهو كلام مستعمل فى هذا الباب
فى اللغة معروف واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير

في ذنبه القول ولقد فتنا سليمان محنتنا وابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع
وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه
قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق
رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله قال أصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي ألقي
على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات
فألقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لأنه
لم يستثن فاستغرقه الحرص الغالب عليه في التمني وقيل العقوبة
أن سلب ملكه وذنبه أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه
على خصمهم وقيل أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله
الإخباريون في خرافاتهم عما فعله من تشبه الشيطان به
وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين
لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله وإن سئل
لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة إن شاء الله فعنه أجوبة
أسدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ
مراد الله تعالى والثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب
لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا
ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون

أن لا يسلط عليه أحد كما تسلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة
امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل أراد أن يكون له من الله فضيلة
وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله بخواص
منه وقيل ليكون دليلا وحجة على نبوته كإلانة الحديد لأبيه
وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة
ونحو هذا وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وأنه أخذ
فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى وأهلك فطلب مقتضى هذا
اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد الله
فبين الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره و
عمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن
مخاطبته فيهم فأوخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق هو
من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان
نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا
وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله و
إقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في
الصحيح أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله
إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا
الحديث ما يقتضي أن هذا الذي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة
وصوابا بقتل ما يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله

الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة
تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى
الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك
التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر
فعله انما كان لاجل انها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه
وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا
امرا نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة
والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد
الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه
السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي
وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة — فان قلت
فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته
من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف
الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف
منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء
فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه
مما يحملهم على الخوف من جلاله والاشفاق من المؤاخذة

بالا يؤاخذ به

بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا
بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها
واتوها على وجه التأويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة
خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم
ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم
فان الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل ومنه ذنب كل
شيء اي آخره واذناب الناس رذالتهم فكأن هذه ادنى
افعالهم واسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب و
الذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية
وغيرهم يتلوث في الكبائر والفواحش ما تكون بالاضافة اليه
هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات
المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات
وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف
ما كانت من سهو او تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي
جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ
ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف
عليه السلام قد ووخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك
فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل

إذ أنسى يوسف ذكر الله وقيل للنبي أنسي صاحبه أن
يذكره لسيده الملك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف
ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قالها يوسف
قيل له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فقال يا رب
أقسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم أخذ الأنبياء بمثاقيل
الذر لمكانتهم عنده وتجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم
في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب وقد قال المحتج للفرقة
الأولى على سياق ما قرره إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا
مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم
أرفع فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا من غيرهم فاعلم أكرمك
الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم
بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في
درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم
كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له
ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على
الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته فسخرنا له الريح إلى
قوله وحسن مآب وقال بعض المتكلمين زلات الأنبياء في الظاهر
زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو ما قدمناه
وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم

بذلك

بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا
الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع
بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا
قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء
لم يكن ما استزاده في نبينا عليه السلام وأيضا فيقال لهم فإنكم
ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا
خلاف في عصمة الأنبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر
عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم
وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا
به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن
كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من
الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف
بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد أمن من
المؤاخذة بما تقدم وما تأخر أفلا أكون عبدا شكورا وقال إني
أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحارث بن أسد خوف
الملائكة والأنبياء خوف إعظام وتعبد لله لأنهم آمنون
وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم أممهم كما
قال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وأيضا فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا أشار ... إليه

يسبق التعمد ذلك وهو يستوجب محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فاستغفار الرسل والانبياء والاستغفار
والتوبة والانابة في كل حين يستوجب محبة الله والاستغفار
فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم
وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق في عصمته
عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي
العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا
وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه
عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب
وخلف القول منذ نبأه الله وارسله قصدا او غير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه
قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر
تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط و
النسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضا
وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد
عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم
عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل

عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد في بعضها خلاف
ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث
لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل
به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط
عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف
في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما
شيئا فتهلكا هذه اكرمكم الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه
في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى
ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان
لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها
في اصول الفقه ويبتنى عليها مسائل لا تتعدد من الفقه ويتخلص
بها من تشعيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال
النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من
اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة
في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف
في امتثال الفعل بسط بيانه في كتبه وكما لا تعلم فلا نطول به
وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي

صلى الله عليه وسلم

شيئا من هذه الامور او وصفه بها ممن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع
عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا
في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان
يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا او يضيع حرمة
للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب
الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء
واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين
سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الا
نبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين
منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما
منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون و
بقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته الاية وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه
من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين
منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير
نحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى

والصواب

والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما
يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض
شيوخنا اشار بان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم
وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من
الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال و
الافعال فهي ساقطة هنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة
جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار
ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس رضي الله
عنهما في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار
لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن
اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من
السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم
كما نصه الله اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم
اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك
ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت
وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام
لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل
وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن

الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن
ترك آمن قال الله انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم
انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين
المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين
طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى
ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت
وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ
بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد
مع جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون
لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء
فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار
وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير
الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين
واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل
وميكائيل ادعى عليهما اليهود المجيء به كما ادعوا على سليمان
فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن
هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين
بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى

بكسر اللام

بكسر اللام ~~وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن~~ بكسر اللام ولكنه
قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا
ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر
اللام شاذة فحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة
ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون
وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس
وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى
آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس
وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان
آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر
بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض
حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب
سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما
رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا
ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من
ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار
فلا يشتغل بها والله الموفق للصواب

فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية
قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان

جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام
والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة
فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من
نوعه وقد كتب الله على أهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها
يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى
وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر
وناله الإعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش
شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى
واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم
ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه
سمات البشرية التي لا محيص عنها وأصاب غيره من الأنبياء ما
هو أعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير
ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات ومنهم من عصمه
كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن
قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف
فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه
سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر
ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا
سائر أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم

في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا
بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون
في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على
الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات
المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة
البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهة
غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها
عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام إن
عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت
يطعمني ربي ويسقيني وقال لست أنسى ولكن أنسى
ليستن بي فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه
وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر
ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن
لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في
نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار
أنه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما
ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته
فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك

وانه قد قال عليه السلام لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى
ربى ويسقينى وكذلك اقول انه فى هذه الاحوال كلها من وصب و
مرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه
وجوارحه ما لا يليق به كما يعترى غيره من البشر مما نأخذ بعد فى بيانه
فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر
كما نا الشيخ ابو محمد العتابى بقراءتى عليه قال نا حاتم بن محمد
نا ابو الحسن على بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف
نا البخارى نا عبيد بن اسمعيل قال نا ابو اسامة عن هشام
بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشىء وما فعله وفى رواية اخرى
حتى كان يخيل اليه انه كان ياتى النساء ولا ياتيهن الحديث واذا
كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبى صلى الله عليه
وسلم فى ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقك الله
ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة و
تذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك
فى الشرع وقد نزه الله الشرع والنبى صلى الله عليه وسلم عما يدخل
فى امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل
يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوته واما ما ورد
انه كان عليه السلام يخيل اليه انه فعل الشىء ولا يفعله فليس فى هذا

ما يدخل

ما يدخل عليه داخلة فى شىء من تبليغه او شريعته او يقدح فى صدقه
لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز
طروه عليه فى امر دنياه التى لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها
وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من
امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلى عنه كما كان وايضا فقد فسر
هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتى اهله
ولا ياتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات
فى خبر منها انه نقل عنه فى ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله
ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد
بالحديث انه كان يتخيل الشىء انه فعله وما فعله لكنه تخييل
لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله
على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث
مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل
وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لى فى الحديث تأويل اجلى وابعد
من مطاعن ذوى الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان
عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن
الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بنى زريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعلوه فى بئر حتى كاد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا

فاستخرجه من البئر. وروى نحوه الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب
وعمر بن الحكم. وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينما هو نائم أتاه
ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال
عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة
سنة حتى أنكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام و
الشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لكم من
مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه
لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في بصره وحبسه
عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون
معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من
نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن
أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من
أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله وهذا أشد
ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى
إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره
كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه
وشاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره

ونوقف

وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في تمييزه وإذا كان هذا لم يكن
فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به
الملحد المعترض أنسا هذه حاله في جسمه فأما أحواله
في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول
والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على
وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع
كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة
قالوا ثنا أبو العباس أحمد بن عمر قال ثنا أبو العباس الرازي ثنا أبو
أحمد بن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبد الله بن رومي
وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا ثنا النضر بن محمد قال ثنا
عكرمة ثنا أبو النجاشي قال ثنا رافع بن خديج قال قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما
تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوه كان خيرا
فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم
بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر
وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي حديث آخر إنما
ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة
الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم
عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ

وانما صح هذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه
من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة
سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه
بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان
نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب
والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي ادنى ماء من
القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون
فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى له وشاورهم
في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار
الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من
امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا
تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا
محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل
نفسه بها والنبي مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح
بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله
التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن
بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام
من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها

ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته فهذا الكلام
واما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية
على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من
المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون
الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على
نحو ما اسمع منه فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا ياخذ
منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار ثنا الفقيه ابو الوليد
رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد
ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن هشام بن
عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة
فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق
فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات
الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه
ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه
تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى
الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة
او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به
في افعاله واحواله ومقتضياته وسيره وكان هذا لو كان مما يختص

بعد وروده الشرع به لم يكن للآفة سبيل الى الاتقان به في شيء
من ذلك ولا اقتضت حجة بقضية في قضاياه لانه في شريعة
دائما لا نعلم ما اطلع عليه هو من حقيقة القضية بحكم هو اذا نحو ذلك
بأن يكون من اعلام الله له باطلاعه على اسرارهم وهذا ما لا تعلمه
الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك
هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه
وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من
سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ
وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في
وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي
بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون
شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه ما شاء
ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة
من عصمته واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله
واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع
عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض
او رضا او غضب وانه صلى الله عليه وسلم معصوم منه هذا فيما
طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض

الموهم

الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية
لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو
حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب
المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله
لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها أهو
الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة
وكل انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام اني لأمزح ولا
اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما
صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه
ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء
وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له
خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة القلب فان قلت
فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله
عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا
تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا
بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى
كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه
زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه

ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام
التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمر بن فائد عن الزهري
قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله عز وجل
يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا قول
المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك
أن تتزوجها ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها
فدل أنه الذي أخفاه عليه السلام مما كان أعلمه به تعالى وقوله تعالى في
القصة ما كان على النبي صلى الله عليه وسلم من حرج فيما فرض الله له
سنة الله الآية فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر قال الطبري
ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله لمن قبله من الأنبياء
فيما أحل لهم ولو كان ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب
النبي صلى الله عليه وسلم عند ما أعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان
فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة
الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا
يتسم به الأتقياء فكيف سيد الأنبياء قال القشيري وهذا إقدام
عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله
وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ
ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد
وإنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها

لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد أبا أحد
من رجالكم وقال تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
ونحوه لابن فورك وقال أبو الليث السمرقندي فإن قيل فما الفائدة
في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بإمساكها فهو أن الله أعلم نبيه
أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها إذ لم تكن
بينهما ألفة وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي
قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله بزواجها ليباح مثل
ذلك لأمته كما قال تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج
أدعيائهم وقد قيل كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة وردا
للنفس عن هواها وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة و
استحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسان
الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر
زيدا بإمساكها وإنما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل
والأولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو
قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه
عول أبو بكر بن فورك وقال إنه معنى ذلك عند المحققين من أهل
التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال
النفاق في ذلك وإظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن
ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له

في نكت ذكرها بسبق نفقة الخطا قال وليس معنى الخشية
هنا الخوف وإنما معناها الاستحياء أي يستحي منهم أن يقولوا
تزوج زوجة ابنه وأن خشيته عليه السلام من الناس
كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين
بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء
كما كان فعاتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله
له كما عتبه على مراعاة رضا أزواجه في سورة التحريم بقوله لم
تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك قوله هاهنا وتخشى الناس والله
أحق أن تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء
ما أخفاه   فإن قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في
أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب
في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضا ولا
غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي
حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال ثنا القاضي
أبو الوليد قال ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحاق
قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل قال ثنا علي بن عبد الله
قال ثنا عبد الرزاق قال أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد
الله عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت

رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن
تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا
بعده أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فإن
الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه إن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر
وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر إن
النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله
حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف
أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا
في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض
وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ
على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في
معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال
في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث
هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا إذا هذى وأهجر هجرا
إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى أهجر
على طريق الإنكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في
صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم

وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة هجر وهكذا ضبطه الاصيلي
بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في
حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف
الف الاستفهام والتقدير أهجر او ان يحمل قول القائل هجر او أهجر
دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله
عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر
الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى
الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما
حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس
ونحو هذا واما على رواية أهجرا وهي رواية ابي اسحاق المستملي
في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة
فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده عليه السلام ومخاطبة
لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء
الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب
فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من
ندبها من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام
لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى

اختيارهم

اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا
كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم
هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله
عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان
تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي اشتد به الوجع
وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج
بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد
وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد
علم عمر تقرر الشريعة وتأسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم
اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي
وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان
يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية و
غير ذلك وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه
لا انه ابتدأ بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فأجاب
رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل
هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم

فان قال اللهم فيما عمله او كراهته علي رضي الله عنه وقوله
والله لا افعل الحديث فمستدل بقوله دعوه فان الذي اتاني
جزاء الذي اتانيه خير من ارسال اللعن وترك حكم وكتاب الله اذ
تدعون في حكم فانتم ودكلمات الذي طلب تحت يد امر الخلافة
بعده وتعيين ذلك فان قيل فما وجه حديث الفقيه
الذي حدثنا الفقيه ابو محمد الحسني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي قال ثنا ابراهيم
بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد
عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد
اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن آذيته او سببته
او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفي رواية
فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية
فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له
زكوة وصلوة ورحمة فكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه
وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب و
يجلد من لا يستحق الجلد او يفعل ذلك عند الغضب وهو معصوم
من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها
باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر

له قال ويحكمه التي ذكرناها حكم عليه السلام بجلده وادبه
بسببه او لعنه بلا انتقام عنده تعالى ظاهره ثم دعا عليه السلام
له لشفقته على امته ورافته ورحمته للمؤمنين التي وصفه
الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاه
وفعله له رحمة وهو معنى ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله
الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه
من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر
ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان
الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان
يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو
عنه وقد يحمل على انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف
والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه
هنا من دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد و
القصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة
كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنه وعقرى حلقى و
غيرها من دعائه وقد ورد في صفته عليه السلام في غير
حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا
فحاشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له ترب
جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام

في موافقة الله بالإجابة فظاهره أنه لم يأت في الحديث أن يجعل ذلك
للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون استحقاق المدعو عليه و
ما يثبت له لئلا يلحقه في استعماله الخوف والحذر من دعوة النبي
صلى الله عليه وسلم ويقبل بما أنه لم يجعل من الناس والمعصوم وقد
يكون ذلك سؤاله لربه لمن جلده أو سبه على حق ووجه
صحيح أن يجعل ذلك كفارة لما أصابه وتزكية لما أجرم أجترم
وأن يكون عقوبة له في الدنيا بسبب العقوق أو الغواية كما جاء في الحديث
الآخر من أصاب في ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فإن قلت
فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه
مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين
فقال له الأنصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس
حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم
منزه عن أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة أمر يريبه ولكنه
صلى الله عليه وسلم ندب الزبير أولا إلى الاقتصار
على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير
حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام
بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حينئذ

حينئذ حقه للزبير ومن هذا جعل المالكيون هذا الحديث أصلا في قضية
وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه
ورضاه وأنه وإن نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان فإنه في حكمه في
حال الغضب والرضا سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي
صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في
الحديث الصحيح وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه
لم يكن لتعد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن
عكاشة قال له ضربتني بالقضيب فلا أدري أعمدا أم
أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعيذك
بالله يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله وكذلك في حديثه الآخر
مع الأعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي
قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط
لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم
ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث
مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب
وموضع أدب لكنه عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه
من الأمر حتى عفا عنه وأما حديث سواد بن عمرو أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس حط
حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني قلت

يا رسول الله. فكشف عن بطنه إنما ضربه عليه السلام لمنكر
رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه فلما كان منه إيلام
لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه   وأما أفعاله
عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها توقيه المعاصي والمكروهات
كما قدمناه وفي جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله
غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله
على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات
والقرب على ما بيناه إذ كان عليه السلام لا يأخذ منها
إلا الضرورة وما يقيم به جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد
ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان بينه وبين الناس
في ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن
يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند أو مداراة
حاسد وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال
ويستعد للأمور أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره
الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات
ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك في
لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك
يفعل الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية

لخلافها وإن كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد
يرى فعله خيرا منه فيفعل هذا في الأمور الدينية مما له
الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه
التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمورهم
مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لأن
يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء
الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم
لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم
للدين وأهله فقال لعائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح
لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم
ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من أدنى
مياه بدر إلى أقربها للعدو من قريش وقوله لو استقبلت من أمري
ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر
والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول إن من شرار الناس
من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه شريعته
ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته و
يتسمت في ملائه حتى لا يبدو شيء من أطرافه وحتى كأن على
رؤوسهم الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم
ويتعجب مما يتعجبون ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس

لبشراه اعتذر له لا يشتريه الموقف ولا يعترض عن الحق الا بالباطل
على جانب ثم يقول ما كان ينبغي ان يكون له خائنة الاعين فان
قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة
ثم لما دخل ألان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان
من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز
ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب انه صلى الله
عليه السلام كان يستألف بشره وتطييبا لنفسه لتحقق ايمانه
ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فيلتجئ بذلك
الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من مداراة الدنيا
الى السياسة الدينية وقد كان يتألفهم باموال الله العريضة
فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار
احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل
هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق
بجانبه كل الثقة لا سيما اذا كان مطاعا متبوعا وسلطانا وما كان كذا
لا لضرورة ودفع مضرة لم يكن غيبة بل كان جائزا بل واجبا
في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة
والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى الفعل الوارد
في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها وقد

اخبرت

اخبرت ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال
لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام
خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب
الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله
عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والعلم
اعلم بالعوا ثم عائشة لم يبيعوا اياها قبل ان يشترطوا ذلك
ذلك عليهم ثم ابطله عليه الصلوة والسلام وهو حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله تعالى ان النبي
صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا
ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه
الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر
طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ تقع لهم
بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال
تعالى وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء
لك ويكون قيام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه
لما سلف من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه
ثان ان قوله عليه الصلوة والسلام اشترطي لهم الولاء
ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام
بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه

وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي
او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي
وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم
على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث
ان معنى قوله عليه الصلوة والسلام اشترطي لهم الولاء
اي اظهري لهم حكمه وبيني عليهم سنته ان الولاء انما
هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا
ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل
فما معنى فعل يوسف عليه الصلوة والسلام باخيه اذ
جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى
على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا
فاعلم اكرمك الله تعالى ان الاية تدل على ان فعل
يوسف عليه الصلوة والسلام كان عن امر الله تعالى
لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه
في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان
ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان
يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس
فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه (?) ورغبته وعلى
يقين من عقبى الخير له وازاحة السوء والمضرة عنه

بذلك

بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس
من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهته
ولعل قائله ان حسن له التأويل كائنا من كان
ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم
قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان
نقول الانبياء عما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب
الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم

فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها
عليه وعلى غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وما الوجه فيما ابتلاهم الله تعالى به من البلاء وامتحنهم
بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى
وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات
الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه
فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها
عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده
كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن
عملا وليعلم الذين امنوا منكم ويعلم الصابرين ولما يعلم
الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم

بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم و
اسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم
والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيدا لبصائر
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم
وموعظة لسوائهم ليتأسوا في حالاتهم ويتسلوا في
المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ولتمحو الهنات
فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى
طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر
واجزل قال القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصير
في حدثنا ابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي
قال حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى
الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن
بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت
يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء
ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه
فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض
ما عليه خطيئة وقال تعالى وكاين من نبي قتل معه
ربيون كثير الايات الثلث وعن ابي هريرة رضي
الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله

حتى

حتى يلقى وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله عنه عنه عليه
الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة
في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه
حتى يوافى يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب الله
عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل
من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين
فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه
قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن
يختبر بالبلاء وقد حكى ان ابتلاء يعقوب بيوسف
كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف
نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف
على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار
يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له
عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب
وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على
يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت
عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته
يامر مناديا على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد
عند ال يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي
نص الله تعالى عليها وروي عن الليث ان
سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل



معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلايا والامراض راضي
بتصريفه بين اقدار الله تعالى منطاع لذلك لين الجانب
برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح
وتمايلها لهبوبها وترجحها من حيث ما اتتها فاذا
اراح الله تعالى المؤمن من رياح البلايا رفاه واعتدل
صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح
الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا
رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه لعادته بما تقدمه من الالام وحصول ما له فيها
من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها
بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب
حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اراد الله
تعالى هلاكه قصمها لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف
ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه
مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة
اشد كما ينجعف الارزة كما قال تعالى فاخذناهم بغتة
وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله تعالى في اعدائه كما قال
تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم
من اخذته الصيحة الاية ففجأهم بالموت حال غفلتهم
وغفلة وصبحهم به على غير استعداد وبغتة ولهذا ما كره

السلف

السلف موت الفجأة وتمنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون
اخذة كاخذة الاسف اي الغضب تريد موت الفجأة
وحكمه ثالثة ان الامراض نذر الممات وبقدر شدتها
شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم
تعالى ما له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة
الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يجري
تبا من قبل الله ومن قبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها
وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر
بعهده فهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان
له عليه مال او حق من بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من
القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث
الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله تعالى وعترته
وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل
امته بعده واتفاق النص على الخلافة والله اعلم بمراده
ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله
المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا
الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا
صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال

عليه الصلوة والسلام في رجل مات فجاءة سبحان
الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال
موت الفجأة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر
او للفاجر وذلك لان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا
مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء
وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال صلى
الله تعالى عليه وسلم مستريح ومستراح منه وتأتي
الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة
ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم
فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت
اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره
شيء له والى هذا المعنى اشار عليه الصلوة والسلام
بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه **القسم الرابع** في تصرف
وجوه الاحكام فيمن تنقصه وسبه عليه الصلوة
والسلام قال ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من
الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعين له من
بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى
اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه
من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين

يؤذون

يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة و
اعد لهم عذابا مهينا وقال تعالى والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم
التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود
كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع
منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله
المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي
المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق
الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من
مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى
اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب
وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك
فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا
برعايته لهم وهو عليه الصلوة والسلام واجب
الرعاية بكل حال وهذا هو عليه الصلوة والسلام
قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا
تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه

اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا
القاسم فقال لم اعنك وانما دعوت هذا فنهى حينئذ
عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن
لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون
ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت
قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى اذاه
بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته
واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا
الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو
مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك
على طريق تعظيمه وتوقيره على سبيل الندب والاستحباب
لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله
تعالى منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول
الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم
في بعض الاحوال وقد روى انس رضي الله عنه عنه
عليه الصلوة والسلام ما يدل على كراهة التسمي
باسمه وتنزيهه عن ذلك اذ لم يوقر فقال تسمونهم
اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر رضي الله
عنه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى بكم احد باسم

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري
وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه
ويقول فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه
محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا يسب بك
والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد
ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء ثم امسك
والصواب جواز هذا كله بعده عليه الصلوة والسلام
بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم
ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروى ان النبي صلى الله
عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر
عليه الصلوة والسلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد
سمى به عليه الصلوة والسلام محمد بن طلحة ومحمد بن
عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد
وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين
كما قدمنا **الباب الاول** في بيان ما هو في حقه
عليه الصلوة والسلام سب او نقص من
تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع
من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او
عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه

اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم
وقال لا تسموا باسماء الانبياء صح

او خصلة من خصاله او عرّض به او شبّهه بشيء
على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشأنه
او الغض منه او العيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم
الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول
هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان
او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له
او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث
في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من
القول وزور او عيّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة
عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة و
والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة
الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم
جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم ان
من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن
قال بذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق
وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل
وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة
واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في
المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله

الوليد

الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة
واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه
وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى
هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او
كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم
خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة
وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض
الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف
في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن
سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى له
وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر
واحتج ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل
خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم
احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان
مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن
سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك
في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه

وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في
العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند
الائمة القتل كالزنديق وقد فرض الله تعالى توقيره وبره
وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه
وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب و
الامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب
وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان
او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب
مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او غيره من النبيين من مسلم او كافر ولم يستتب قال
اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب
لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن الحكم من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك
وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى
الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم
وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء
على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من

المكروه

المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن
قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم ابي طالب بالقتل
وافتى محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة
النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية
فقال لهم تريدون تعرفون صفته هو في صفة هذا المار
في خلقه ولحيته قال لا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله
وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن
ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له
لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا و
ذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد
من كلامه ثم قال انما اردت برسول الله العقرب
فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك
يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب ابن الربيع لان
ادعاه في تأويله التأويل في لفظ صراح لا يقبل لانه
امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن
عتاب في عشار قال لرجل اد عليك واشك الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سئلت او جهلت
فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل وافتى
فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي

شريكك صح

وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه
وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدره
وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها
الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون
بقتل ابراهيم الفزارى وكان شاعرا متفننا فى كثير
من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابى العباس بن
طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب
فى الاستهزاء بالله تعالى وانبيائه ونبينا صلى الله عليه
وسلم فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر
بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل
واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت
خشبته وزالت عنها الايدى استدارت وحولته عن
القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ
فى دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلوة والسلام انه قال
لا يلغ الكلب فى دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله
بن الرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم
يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز
ذلك عليه فى خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين
من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروى مذهب
مالك واصحابه ان من قال فيه عليه الصلوة والسلام

الصلاة

الصلاة والسلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال
بن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي
صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان
قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا و
تنقصا يجب قتل قائله لم يختلف فى ذلك متقدمهم
ولا متاخرهم وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه
ونبينه وكذلك اقول حكم من غمصه وعيره برعاية الغنم
او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او
هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه
او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل
وقد مضى مذاهب العلماء فى ذلك ويأتى ما يدل عليه
فصل فى الحجة فى ايجاب قتل من سبه او عابه عليه
الصلوة والسلام فمن القران لعنه الله تعالى لموذيه فى
الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف فى
قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من
هو كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله الاية وقال فى قاتل المؤمن مثل ذلك فمن
لعنته فى الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما
ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال فى المحاربين
وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزى فى الدنيا وقد يقع
القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون [illegible]

وقاتلهم الله

وقاتلهم الله اى لعنهم الله وكانه فرق اذا بينهما واذى المؤمنين مادون
القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذى الله تعالى ونبيه
صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية
فسلب اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه
ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى
الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر
يقتل وقال تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك
به الله اليه ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس
المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون
هو اذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
اليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير
كفرتم بقولكم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ~~واما الاجماع~~
واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله
احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابى ذر الهروى اجازة
قال حا ابو الحسن الدارقطنى وابو عمر بن حيويه حا محمد بن نوح
حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة حا عبد الله
بن موسى بن جعفر عن على بن موسى عن ابيه عن جده عن
محمد بن على بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن على عن

ابيه

ابيه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من
سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابى فاضربوه
وفى الحديث الصحيح امر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل
كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه
يؤذى الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون د
عوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل
ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل
ابا رافع قال البراء وكان يؤذى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل
ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه
صلى الله عليه وسلم وفى حديث اخر ان رجلا كان
يسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفينى
عدوى فقال خالد انا فبعثه النبى صلى الله عليه
وسلم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه
من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن
ابى معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده
فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى
البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عقبة ابن
ابى معيط نادى يا معشر قريش مالى اقتل من بينكم
صبرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر

عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال
يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروى
ايضا ان امرأة كانت تسبه عليه الصلوة والسلام فقال
من يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى
ان رجلاً كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا
والزبير اليه ليقتلاه وروى بن قانع ان رجلا جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول
فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى
الله عليه وسلم وبلغ المهاجر ابن ابي امية امير اليمن
لابي بكر رضي الله عنه ان امرأة هناك في الردة غنت
بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يديها ونزع
ثنيتها فبلغ ابا بكر رضي الله عنه ذلك فقال له لو ما
فعلت لامرتك بقتلها لاحد الانبياء ليس
يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنهما هجت
امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض
فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح
فيها عنزان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعمى كانت
له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا
تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي
صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ~~ابي برزة~~
ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي
الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل
وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه
النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال
فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه
فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه
احد واستدل الائمة بهذا الحديث على من اغضب
النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه
ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة و
وقد استشاره في قتل رجل سب عمر فكتب عمر اليه
انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجل
سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد
حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب
مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها
من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في
هذه الحكاية ورواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك
ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء

بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعله ممن يشتهر بعلم او ممن لا يوثق بفتواه او يميل
به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف
هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن
سبه فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل
من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار
وان من سبه او تنقصه عليه الصلوة والسلام فقد ظهرت
علامات مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره ولهذا ما
حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين
عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين
والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم
له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع
عنه فهذا كافر بها وترك توبته عنها دليل استحلاله
لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله
تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان
كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم
ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك ياكلك
ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان
حكمه حكم الزنديق يقتل لانه قد غير دينه وقد قال عليه

الصلاة

الصلاة والسلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي
صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحرمة
من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم
القتل لعظم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل
فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي
الذي قال له السام عليك وهذا دعاء عليه ولا قتل
الآخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله
وتأذى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وقال قد اوذي
موسى عليه الصلاة والسلام باكثر من هذا فصبر ولا قتل
المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان
فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اول الاسلام يستألف عليه الناس ويميل
قلوبهم اليه ويحبب ويحسن اليهم الايمان ويزينه
في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم
ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا و
لا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه
وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم
ويغضي عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم
ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم
بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال

تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي
احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك
لحاجة الناس للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر
واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره
كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله
غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينتظمه قبل سلك
صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان
يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك
ندر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى
وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه الصلاة و
السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها
القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا
نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم
الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه الصلاة والسلام
على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم من الرسل حتى
فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما
اخلص جهرا ونفع الله تعالى بعد بكثير منهم وقام
منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت

به

به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا
السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه الصلاة والسلام
من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة
في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح
الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا
به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه
عائشة رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه
ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة
صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما
يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض
اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل
المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت
بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان
سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل
الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام
لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين
في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين
وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم
فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم
وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول

ولا ارتاب الناس واذا رجف المعاند وارتاع من صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم
وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ
الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس
رحمه الله ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن
قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من
حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في
علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم
لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن
بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم
ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى
محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها
ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا
لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل
لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم
منه الطعن عليه والتهمة له وانما

واعذارا انما هو من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد
في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى
الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك
يفعل في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح
سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا
بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم
والسام والسامة الملال وهذا دعاء على سامة الدين
ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى
الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض
بالسب وانما تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل
وقد قدمنا ان الاذى والسب في حقه صلى الله عليه
وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن
هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث
هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب
ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في
ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري
على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال
الخوارج للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا
معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم

على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم
واذن له في قتل من حينئذ منهم وانزلهم من صياصيهم و
قذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء
واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤ منين
وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير و
حكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم فان قلت
فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انه
صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه
قط الا ان تنتهك حرمات الله تعالى فينتقم لله تعالى فاعلم
ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه
فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون حالا
ينتقم له فيما يتعلق بسوء ادب او معاملة من القول
او الفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن
ما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر
من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع
صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراه منه فرسه
التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه
عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض
علمائنا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا
يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز
بفعل ما يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره

واصبح

واصبح بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله وبقوله عليه الصلاة والسلام انها بضعة مني
يؤذيني ما اذاها الا واني ما احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع
ابنة رسول الله وبنت عدو الله عند رجل ابدا او يكون هذا
مما اذاه به كافر وجاء بعد ذلك مسلما كعفوه عن اليهودي
الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية
التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا ما يبلغه من اذى
اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم
واستيلاف غيرهم كما قررناه قبل وبالله تعالى
التوفيق **فصل** الكلام في قتل القاصد لسبه
والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا
وجه بين لا اشكال فيه **الوجه الثاني** لاحق به في البيان
والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه
الصلاة والسلام غير قاصد للسب والازراء ولا
معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه الصلاة والسلام
بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا
يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه
الصلاة والسلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان
كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين
الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او
وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور

او خبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عنه عن قصد
لرد خبره او يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من
السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يعتمد
ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر
او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة
وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه الاول القتل دون
تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان
ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من
اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون
على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب
النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان
يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى
زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن
شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن
به انه يعتقد هذا او يفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه
السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه
لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان
ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه
الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على
هذا الحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم

وهل

وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه
وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت غير محرمة فلم يكن
في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها حينئذ معفوا
عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله
واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر
به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا
كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك
كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الاخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي
صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله
من كذب وغيره وان كان مستسرا بذلك فحكمه
حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه
قال ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه من برئ من محمد
او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع
وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس
بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء
تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه
وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك
قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه قاله سحنون وابن
القاسم وقال ذلك سرا او جهرا قال اصبغ و

وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله تعالى مع الفرية على الله
وقال اشهب فى يهودى تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس
او قال بعد نبيكم نبى انه يستتاب ان كان معلنا بذلك
فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبى صلى
الله عليه وسلم فى قوله لا نبى بعدى مفتر على الله تعالى فى
دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من
شك فى حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر
جاحد وقال من كذب النبى صلى الله عليه وسلم كان حكمه
عند الامة القتل وقال احمد بن ابى سليمان صاحب
سحنون من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم اسود
قتل لم يكن عليه الصلوة والسلام باسود وقال نحوه
ابو عثمان الحداد وقال لو قال انه مات قبل ان يلتحى
او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفى
قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر
له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون
استتابة **فصل الوجه الرابع** ان يأتى من الكلام بمجمل
ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبى صلى الله
عليه وسلم او غيره او يتردد فى المراد به من سلامته من
المكروه او شره فههنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة
اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة

فمنهم

فمنهم من غلب حرمة النبى صلى الله عليه وسلم وحمى حمى
عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ
الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا
فى رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبى محمد فقال
له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل
هو كمن شتم النبى صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة
الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت
من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحق
البرقى واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس
وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب فى شتم
النبى صلى الله عليه ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم
يكن معه قرينة تدل على شتم النبى صلى الله عليه و
سلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة
يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس
غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل على النبى فحمل
وسبه لمن يصلى عليه الآن لاجل امر الآخر له بهذا عند (قوله)
غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة
صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضى
رضى الله عنه وغيره فى مثل هذا الى القتل وتوقف
ابو الحسن القابسى فى قتل رجل قال كل
صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا

ثم يشدد بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة
عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق
الآن فمعلوم انه ليس منهم نبي مرسل فيكون امره اخف
قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من
المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء
والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه
الا بامر بين وما ترد اليه التأويلات فلا بد من امعان
النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد
رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل
ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب
بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال
لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه و
فيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء
به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن
فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد
بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله صلى
الله عليه وسلم وانما لعن من حرمه من الناس على نحو
فتوى سحنون واصحابه في المسألة المتقدمة
ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول
بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة

كلب

كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل
هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض
هذا العدد منقطع الى ادم عليه الصلاة والسلام فينبغي
الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب
فيه ولو علم انه قصد سب من في ابائه من الانبياء على
علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل
هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين
منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه و
سلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على
علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن
قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض ابائه
واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد
كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد
عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال الآخر الانبياء
يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن
جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان
القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل
لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم
من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله
بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد

به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وتاتي ثم اطلقه
وشاهدت شيخنا القاضي اباعبد الله محمد بن عيسى ايام
قضائه اتى برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب
فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال
ذلك فشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى
السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب
بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط
واطلقه فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا
ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او
يستشهد ببعض احواله عليه الصلاة والسلام الجائزة
عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او
لغيره او على سبيل التشبه به عند هضيمة نالته او غضاضة
لحقته ليس على طريق التاسي وطريق التحقيق بل
على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل
وعدم التوقير لنبيه عليه الصلوة والسلام وقصد
الهزل والتنذير بقوله كقول القائل ان قيل في
السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم وان
كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد
اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم
منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم
او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله عن اعداه وحلم على

اكثر

اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها
الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين
في قول المتساهلين في الكلام كقول المعري كنت
موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من
فقير على ان اخر البيت شديد وداخل في باب الازراء
والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره
عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد
قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا
انه لم ياته برسالة جبريل فصدر البيت
الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله
بالنبي صلى الله عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما
ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه
عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت
راياته صفقت بين جناحي جبرين وقول الاخر من
اهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب
رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس
في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر
بن زيدون كان ابابكر ابو بكر الرضى وحسان
حسان وانت محمد الى امثال هذا وانما
كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف

امثلتها وتساهل كثير من الناس في لوح هذا الباب الضنك
واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر
وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه
تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي
وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى
حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه
وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته
فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافة الى
الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام نقصا ولست
اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا
فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة من شبه في كرامة نالها
او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب
مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم
الله تعالى خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره
ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق
هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره
بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف
عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق
منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به
وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك

باقي سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف
خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ
بعصى موسى وامر باخراجه من عسكره من ليلته وذكر
القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب
قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه
وسلم حيث قال تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها
خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا
ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل
من رسول الله من نفره لان حق الرسول وموجب
تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف
فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا
على هذا المنهج جائت فتيا امام مذهبنا مالك
بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية
ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال
تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه
وسلم في غير موضعه ارى يؤدب قال ولا ينبغي
لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت
الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر
لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان
ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله

وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب و
الاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القا بسي
عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس
كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا
ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع
دخل عليه حين راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة
فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين
فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك
وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن
النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الاخر
الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه
القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه
صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه
لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان
ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس
بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك و
لو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب
معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت

فانك

فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي اميا فشنع
عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر
الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه
مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
وكون النبي اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه و
جهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله تعالى فيترك
لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع
فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة
استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد
بن منصور في رجل تنقصه اخر بشيء فقال له انما
تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر
يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه
باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب
وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله **فصل**
الوجه السادس ان يقول القائل ذلك
حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة
حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف
بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح

له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان
حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض
على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما
يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه
فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم
او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه
في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه
والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب
على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان
كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما
بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة يعظ
او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن
على القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الايجاب
لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم
يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى
الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته على
الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام
بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر
سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير
الشهادة وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على
بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل
ابو

ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى
ايسعه ان لا يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل
بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه
ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين
فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى
الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا
لغير غرض شرعي بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين
الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين
عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من
كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله تعالى علينا في محكم
كتابه وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة
الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم و
مجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان
كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد
فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه
السائغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه
والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف

واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل
هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان
من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن
عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه
وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من
البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سأل
مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال
انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من
مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله
وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت
تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف
له والتحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه الصلوة والسلام
وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره
فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم
بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم
فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم
رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته متى وجد

دون محوه ورحم الله تعالى اسلافنا المتقين المتحرزين
لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير
ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها
يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة
الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد
القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطره الى الاستشهاد
به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن
اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته
او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم
فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية
به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات
الله تعالى لشدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء
حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معانات
عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة
ما صحت منه العصمة للانبياء عليهم الصلوة والسلام وما
يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس
فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ
ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل

العلم وفهمها طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده
ويجب ذلك ممن عداه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره
بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه
من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن و
ادراكهن فقد قال عليه الصلوة والسلام فجاع نفسه باستيجاره
لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا
الله تعالى بذلك عن موسى عليه الصلوة والسلام وهذا لا غضاضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء عليهم
الصلوة والسلام حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب
برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة
في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته
على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه
تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله
وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته
وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب
ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن
من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار
الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم

وامداده

وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع
متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى
علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه
من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب
ملك ابيه واذا اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة
واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا
وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك
اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة
ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم
انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح به صلى
الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه فصل في العلم اللدني
ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن
مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك
نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة
لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية
في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان
من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته
فيما فيه هلاك من عاداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان

تمام جبلته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو في سؤدده
منتهى هلاكه وختم مؤنته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي
من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمته بيته زهدا
ورغبته عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة
فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره
وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها
مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه
بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك
ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام
في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم
بحال وتحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث
منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله
مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة
للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل
هذا فقيل له ان ابن عجلان يتحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء
وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على
طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل
عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب
على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة
وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها
وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها
وتلويحها فتفرقوا في تأويلها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم
من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها
شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه صلوات الله عليهم ولا يتحدث
بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل
بها الا ان يذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المفاد واهية
الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله
الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن
اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها و
يغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام
على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها
اكشف للبس واشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم فيما يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه
في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه
عند ذكره عليه الصلوة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب

من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه
علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد
ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفدا
للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا
اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه الصلوة
والسلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب
بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب
والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول
والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب
لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم
الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى
يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال
قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة
الصغائر فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب
او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلوة
والسلام وما يجب له من تعزير واعظام وقد رأيت بعض العلماء
لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت
بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع
عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا

في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم واستعماله في حقه عليه
الصلوة والسلام اوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح
الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على
جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها
فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور
في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيزه
عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر
عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني
وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى
الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب
فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من
التشبه بمن كفر به **الباب الثاني** في حكم سابه ومؤذيه ومنتقصه
وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته قد قدمنا
ما هو سب واذى في حقه عليه الصلوة والسلام وذكرنا اجماع
العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله او تخيير الامام في قتله او صلبه
على ما ذكرناه الحجة عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك
واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر
التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا

ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومستتر الكفر في هذا
القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة
على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة
كسائر الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر
بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال
ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه
وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين
ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف
في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في
ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر
على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك
ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه تائبا فكانا
وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل
وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى
لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي
صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق
الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف
فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب

رضي الله عنه

رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن
المسلم بالتوبة من سبه عليه الصلوة والسلام لانه لم ينتقل من دين
الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق
لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن
نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى
على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر
والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري
تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه
وليس سبه عليه الصلوة والسلام كالارتداد المقبول فيه التوبة
لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين
فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق الادمي
فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط
عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط
ذنوبه من زنا وسرقة ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم
لكفره لكن بمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك
لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه
لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازدراء والاستخفاف
او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله تعالى
اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه فقال ابو عمران القابسي من سب

النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الإسلام قتل وإن لم يستتب
لأن السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام
شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج إلى
تفصيل وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على
ذلك ممن ذكرناه وقال به من أهل العلم فقد صرحوا أنه ردة قالوا
يستتاب منها فإن تاب نكل وإن أبى قتل فيحكم له بحكم المرتد
مطلقا في هذا الوجه والوجه الأول أشهر وأظهر لما قدمناه ونحن
نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا
وإنما نقول ذلك مع فصلين إما مع إنكاره ما شهد عليه به أو إظهاره
الإقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله تعالى من حقه وأجرينا حكمه
في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق إذا ظهر عليه وأنكر أو تاب فإن قيل
فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون
عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم
الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة
وإنكاره ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلا أي غلطا
ومعصية وأنه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض
أحكام الكفر على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه كقتل
تارك الصلاة وأما من علم أنه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره

بذلك

بذلك وكذلك إن كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه أو تكفيره ونحوه فهذا
مما لا إشكال فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل توبته ونقتله بعد
التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله تعالى المطلع على صحة
إقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد عليه
وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه صلى
الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء
ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها وأجر اختلافهم في الموارثة وغيرها
على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم إن شاء الله تعالى **فصل** إذا قلنا بالاستتابة
حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد ولا فرق بينهما وقد
اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور أهل العلم
إلى أن المرتد يستتاب وحكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة على تصويب
قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود
رضي الله عنهم وبه أخذ قال عطاء بن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك
وأصحابه والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي وذهب طاوس
وعبيد بن عمير والحسن في إحدى الروايتين عنه أنه لا يستتاب وقاله عبد
العزيز بن أبي سلمة وذكره عن معاذ وأنكره سحنون عن معاذ وحكاه
الطحاوي عن أبي يوسف وهو قول أهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله
ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه وحكي أيضا
عن عطاء أنه إن كان ممن ولد في الإسلام لم يستتب ويستتاب الإسلامي

وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي
رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة
وقال مالك الحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب
الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه انه يستتاب ثلثة ايام يحبس
فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه
مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال
الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستتابة ثلاثا وقال مالك ايضا
الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان
تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان
عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء
ثلاثا اصحاب الراي وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب
امراة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل
واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلث مرات فان ابى
قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي
يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار
عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلث مرات في ثلثة ايام او ثلث جمع كل يوم
او كل جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام
ثلث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد

عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة
تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف
ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن
الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال
اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق
منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه
ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي
صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب
عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله
ابن القاسم وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم يتب
في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا
اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك و
الشافعي والكوفي **فصل** هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يوجب ثبوته
من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد
عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط
عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة وضعفها
وكثرة السماع عنه وصورة حاله في التهمة في الدين والنبز بالسفه

والمجنون فمن قوي أمره أذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن
والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلوته وهو حكم كل من وجب عليه القتل
لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه
أمره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى
الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة فإذا تاب نكل ولمالك في
العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه
وسلم فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره القتل
فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ويستطال
سجنه ولو أقام فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق
وقال في مثله ممن أشكل أمره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن
حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة أخرى مثلها ولا تراق الدماء إلا
بالأمر الواضح وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة
شديدة فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما
أو جرحهما ما أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط
الحكم عنه وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون
الشاهدان من أهل التبريز فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم

عليه شهادتهما

عليه شهادتهما فلا يرفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع
اجتهاد والله ولي الإرشاد فصل هذا حكم المسلم فأما الذمي
إذا صرح بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر
به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة والعهد على هذا
وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل
الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب
ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم
من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل أيضا بقتل النبي صلى
الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم
الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا
عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا أهل
حرب يقتلون لكفرهم وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط عنهم حدود الإسلام
من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك
حلالا عندهم فكذلك سبهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت
لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي ستقف
عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى أبو المصعب الخلاف
فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه ثم ~~تاب لانا نعلم~~ أسلم
فقيل يسقط قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا سبه ثم
تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من

مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل
على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري
قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه
فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة
فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا
فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد
عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب
تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه
قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن
كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء
احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر
مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل
وان يضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار
فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره
ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى
وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت
بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها
ودرء القتل عنها به وقال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن

الكاتب

الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من
مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب
روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف
وشبهه من حقوق العباد ولا يسقط عن الذمي باسلامه وانما
يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد كان
ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله **فصل**
في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة عليه اختلف
العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون
الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه
كفر الزنديق وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا
بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل
حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة
فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه
ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل
اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب
وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين

ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل
بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهد المتمادي بين لا يمكن الخلاف
فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب
ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية
ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال
ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين
الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه قاله اصبغ قتل على ذلك
او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق
الذي يستهل بالتوبة فلا يقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث
وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل
انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب
فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام
ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه
عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب
والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث
واسحق وابو حنيفة ترثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه
قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن
في باقي جوابه حسن بين وهو على رأي اصبغ وخلاف قول سحنون

واختلافهما

واختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من
المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر
التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر
للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية
وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقاله
ايضا جماعة من الصحابة وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك
ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف
بما شهد عليه وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات
ورث قال وكذلك كل من استسر بكفر فانهم يتوارثون بوراثة
الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي
صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب
انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين
ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره **الباب
الثالث** في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه
وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب
الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال
ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه
ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى

من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراءً على الله بارتداده
الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال
في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة
وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك
اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا
ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي
بن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد ابن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن
الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال
يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور
واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه
وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها
انه قال استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر
وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان
مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى
اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان
القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس
والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في سب
الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه
قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين آخر من الاديان

المخالفة

المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد
اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو
معتقد له اذ ليس يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم يقبل توبته
واذا انتقل من دين الى دين آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد
اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم
هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب
مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل**
واما من اضاف الى الله ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة
وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي
الى الهوى والبدعة في تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما
اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك
واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون
فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك
واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله
عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك ابن الماجشون
وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما
رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون
فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء

من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف
لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا
والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد
في اهل القدر وغيرهم واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله في
المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما
قتلوا لرايهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب
وغيرهم من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة
وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت
الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان
بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه
قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء
كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده
بيد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه وقال فيمن قال القرآن
مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا
ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته
قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة
العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف
قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب

القدري واكثر اصحاب السلف تكفيرهم وممن قال به الليث
وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن
وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو
اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو قول اكثر المحدثين
والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء
المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك
قالوا في الواقفة الواقفية والشاكة في هذه الاصول وممن روي
عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن
عمر والحسن البصري وهو راي جماعة من الفقهاء والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن
عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري
احكام المسلمين عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية
وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد
في الارض كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل
قتل وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان
كان يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل
البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين
المسلمين من العداوة فصل في تحقيق القول في اكفار المتاولين
قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين

ممن قال قولاً يؤدي مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه
قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم
من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه
ولم يخرجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين
وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم
باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو
قول جميع اصحاب مالك وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه
من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير
او ضده واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلاة
خلفهم منه والى نحو هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق
وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا
قولاً يؤدي اليه واضطرب في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه
مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتأويل
لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف
في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث منهم
ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم هم من المسلمين واكثر ميله الى ترك
التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر
قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري
تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم او المسيح او بعض من يلقاه

في الطرق

في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي
رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة فاعتذر
له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم
عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب
الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين
الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في سفك
محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه الصلاة والسلام فاذا قالوها
يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على
الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح
خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث
الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر
القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك
واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء
فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بانه قد ورد مثل
هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر
دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الزنا
وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملاً للامرين
فلا نقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج من شر البرية
وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم

قال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم
بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك من
قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث
نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه
للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه
بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله
يصلي فان احتجوا بقوله عليه الصلوة والسلام يقرؤون القرآن لا
يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون
من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود
السهم الى فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل انه لم يتعلق من
الاسلام بشيء اجابه الآخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفقهون
معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم و
عارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله
وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله
عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير
ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الآخرون بان العبارة
بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي
للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة
وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف

المعاني

المعاني مشتركة ولا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها
بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه
عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها
من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة
لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة
اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير
ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله
بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت
شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان
كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله
فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن
لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري
الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتأويل
وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول
الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره
وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني
قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله
استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا ومن غيرهم وقال نحو
هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله

ومقلدة اليهود والنصارى وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن
لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحى الغزالي قريبا من هذا
المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من
لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين
او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف
والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف
او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر في بيان
ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم
ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال
للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية
وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم
من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة
الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار او احد غير
الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن
لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من
الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله
تعالى ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث
او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء

او كائن عنه او انه معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا
للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين
من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة
الله تعالى والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض
المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع
على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب
بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد
الآباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها
وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها
عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او احد من الانبياء
الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم
اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين
ان عليا رضي الله عنه كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة
والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة وان كان بعض هؤلاء
قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية
وصحة النبوة ونبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على
الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها
فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض
وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر

الشرع واكثر ما جاء به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من
امور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار وليس منها شي
على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق
على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم
فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي
وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف
الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك
في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء
او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع
وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من
الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود
ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي
الى ان توصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة
وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين
على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول
الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال
كان اسودا او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز
او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب
له وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او بعده

كالعبوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب
وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين
بمشاركة علي رضي الله عنه في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده
وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية
والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء
ومن ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب
الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى
منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة
وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه الصلوة والسلام انه خاتم النبيين
ولا نبي بعده واخبر عن الله تعالى انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس
واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد
به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف
كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع
نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله
على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير
ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان
اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو
كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل

قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية
من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم
عليا وكفرت عليا رضي الله عنه اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقدم
فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع
نقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار
مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم
النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي
الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على
رسوله وآله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من
كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل
كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي
الى الكنائس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص
الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان
هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك
اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا
مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض
غلاة الصوفية وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة
من قواعد الشرع وعرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول
صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب

الصلوة

الصلوة الخمس وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب
الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه
الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي
والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير
من قال من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية
في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث
والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة
ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم
الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك
ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب
في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة
المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام
لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي
صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا
ومثله لا مرية في تكفيرهم ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن
خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد
بالاسلام فيقال له سبيلك ان تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد
كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصر الرسول
صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة

هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك
الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة
هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك وابان
حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد المرتاب
في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر
بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب
اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم
والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه
وسلم وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاستراب في جميع الشريعة اذ هم
الناقلون لها وللقران وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر
وكذلك من انكر القران او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل
الباطنية والاسمعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم
او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل
على الله تعالى ولا حجة فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدل على ثواب
ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك
نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه
وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع

والنقل

والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح
القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القران بعد علمه انه من القران
الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به
ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده
ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين
لانه مكذب للقران مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه
وكذلك من انكر الجنة والنار والبعث والحساب والقيامة فهو
كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك
من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر
والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان
باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة
وزعم ان معنى القيمة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر
من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي
الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او موتة او وجود
ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس
في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك او انكار وقوع
العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من بهتة كانكار هشام وعباد وقعة

الجمل ومحاربته على من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل قلة
الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال
الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر
عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق
عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى الآية وقوله عليه الصلوة والسلام من خالف الجماعة قدر
شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير
من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير
من خالف الاجماع يختص بنقله العلماء وذهب آخرون الى التوقف
الاجماع الذي يختص في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير
النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف
على احتجاجهم خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي
ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بالله
بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا رأي الا ان يكون هو الجهل به
فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد
الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله
لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلثة امور
احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول قولا يخبر الله

ورسوله

ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود
للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم
او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان
الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ
من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها
مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم
وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا
على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها او اعراه عنها
وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهؤلاء
يكفر المتأولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات
فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر
الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة
الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه
لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما
نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان
النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل
لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال
فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا
عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث

بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه
بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم
به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع
فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيّق ويكون ما فعله
بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو
غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه بما استولى عليه من الجزع والخشية
التي اذهبت لبه ولم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة حيث
ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته
الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم
كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال
اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر
الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه
قوله ويسوقه اليه مذهبه كفّره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف
عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى
اليه قولهم وهكذا عند سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم يؤاخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم
قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي
من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر

بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصّلناه فعلى هذين المأخذين
اختلف الناس في اكفار اهل التأويل فاذا فهمته اتضح لك
الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم
والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم
في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم
ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ
عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة الصدر الاول فقد كان نشأ على زمن الصحابة
رضي الله عنهم وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال
من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا
لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل
على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند
المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى
غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسائل
الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء
الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من اكفار المتأولين
فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع
المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمناه في الفصل
قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله

هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ذمي تناول من حرمة
غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج عليه ابن عمر بالسيف وطلبه
فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم
في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن
القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوط طوعا قال أصبغ لأن الوجه
الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك
والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد
قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان الله
تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال المخزومي في
المبسوط ومحمد بن مسلمة وابن حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما
كان أو كافرا فإن تاب وإلا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول
مالك وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي
به كفر إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول
عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم
بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم
وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم
منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله به وسب نبيه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم
وأن لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض
لعهدهم واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك
ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر
وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين لا يقر عليه أحد
ولا يؤخذ عليه جزية وقال ابن حبيب ولا أعلم من قاله غيره
هذا حكم من صرح بسبه تعالى وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته
فأما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو
الرسالة أو النافي أن يكون الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي
رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا
خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه
لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيئته
لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه من شديد العقاب ليكون
ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله إلا من تكرر
ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل سوء طويته وكذب
توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه
وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي وأما المجنون والمعتوه فما علم
أنه قاله من ذلك في غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما
فعله من ذلك في حال ميزه وإن لم تكن معه عقله وسقط تكليفه

ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه
على ذلك حتى ينكف عنه كما يؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراضى
وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى له الالهية وقد قتل
عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد
من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم
والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر
من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر
بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي الغراقيد وكان
على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد
يومئذ ابو الحسين ابن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط
من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله تعالى خالقه
او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب
ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك
او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي
تنبأ او ادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب
فان تاب والا قتل وقال ابو محمد ابن ابي زيد فيمن لعن الله باريه
وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره
ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا يقبل توبته وقال

ابو الحسن

ابو الحسن في سكران قال انا الله ان تاب ادب فان
عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين
واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم
يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه
وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من
ملكوته او نزع الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في خالقه غير قاصد
للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف
به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته و
كبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب
الاستخفاف والتنقص لربه فقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل
من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج
يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان
بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى ابن
وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا
الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي
حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم
رب عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين
وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي
وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف

الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب
وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء
وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة
الشاردة مالم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب
بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح
سببها ومقارنتها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى
رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله
على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه
لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد
انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء
الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا
من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا
قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا
مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة
واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا
وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث
لا ابا لكا في اشباه لهذا من الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب
الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب

تعليمه

تعليمه

وزجره والاغلاظ عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي
وهذا تهور من القول والله تعالى منزه عن هذه الامور وقد روينا
عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء
حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا وكان بعض من ادركنا
من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان
يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما
لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر
الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر
صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله جل وعز
وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله
عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والموفق الله تعالى
وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم وكذبهم
فيما اتوا به وانكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق
ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله الآية وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الآية الى قوله لا نفرق بين احد
منهم وقال تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين
احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء

او واحداً منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة
قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه
الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة
سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله تعالى وملائكته قتل
وقال سحنون من شتم ملكاً من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر
عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان النبي
علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون
وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي
صلى الله عليه وسلم اشبه بعلي رضي الله عنه من الغراب بالغراب وقال
ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص
احداً منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي
قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك
قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه
على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من
الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه او حققنا
علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل
وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء

وكفرائيل

وكفرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من
الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار
بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت
وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم
وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت
الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم
والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة
ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال
المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم
تثبت نبوته واما انكار نبوتهم وكون الآخر من الملائكة فان كان
المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك
وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد
ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل
هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة   واعلم ان من
استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفاً
منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه
من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك
او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم بالاجماع قال الله
تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله
حدثنا ابو علي حدثنا ابن عبد الرحمن حدثنا ابن المومن حدثنا
ابن واسه حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن حنبل حدثنا يزيد بن
هارون حدثنا محمد بن عمرو عن ابي بن سلمة عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك
وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله تعالى من المسلمين فقد حل ضرب
عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر
بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف
بايدي المسلمين ما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين
الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا
قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن
عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك رضي الله عنه قتل من سب
عائشة رضي الله عنها بالقرية لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن
قتل لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى
تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون

فيمن قال

فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب
وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من
قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله تعالى
ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابو عثمان بن الحداد ان جميع من ينتحل التوحيد متفقون
على ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده
رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول له اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك
ابراهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد
الرحمن بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله وقال اصبغ
بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به
فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا
فحلف له بالتورية فقال الآخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك
شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت تورية
اليهود فقال ابو الحسن الواحد لا يوجب القتل والثاني انه علق
الامر بصفة يحتمل التأويل ولعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء
من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التورية
مجرد الصاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن
شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد
لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه

بالرجوع عنه والتوبة منه سجلاً أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير
أبي علي بن مقلة سنة ثلث وعشرين وثلثمائة وكان فيمن أفتى
عليه بذلك أبو بكر الأبهري وغيره وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب
فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال أردت سوء الأدب
ولم أرد القرآن قال أبو محمد وأما من لعن المصحف فإنه يقتل
وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه عليه الصلوة والسلام
وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد أبو علي
رحمه الله حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل العدل قالا حدثنا
أبو يعلى السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا محمد بن
يحيى حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا عبيدة بن أبي رائطة
عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم
غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم
ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى
الله يوشك أن يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل
الله منه صرفاً ولا عدلاً وقال عليه الصلوة والسلام لا تسبوا
أصحابي فإنه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون أصحابي فلا تصلوا
عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وإن مرضوا فلا

فلا تقولوهم

فلا تقولوهم وعنه عليه الصلوة والسلام من سب أصحابي فاضربوه
وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم يؤذيه وأذى
النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في أصحابي ومن آذاهم
فقد آذاني وقال لا تؤذوني في عائشة رضي الله عنها وقال في فاطمة
بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب
مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع قال مالك رحمه الله من
شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه أدب وقال أيضاً
من شتم أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعثمان
وعلياً أو معاوية أو عمرو بن العاص رضي الله عنهم فإن قال كانوا
على ضلال وكفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً
شديداً وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة
منه أدب أدباً شديداً ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه
أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في
سب النبي صلى الله عليه وسلم علياً وعثمان وغيرهما يوجع ضرباً وحكى
أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي
إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا
نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب أبا بكر جلد ومن سب
عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن
شعبان عنه لأن الله تعالى يقول يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً

ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي
ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن
ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة رضي
الله عنها فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
سبحانك سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته وكذا
يشهد لقول مالك في من سب عائشة رضي الله عنها ومعنى هذا
والله اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا
لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان
حكم موذيه تعالى القتل كان موذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك كما قدمناه
وشتم رجل عائشة رضي الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى
العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق
رأسه واسلمه الى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع
لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك
فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتي
باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك
من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء
حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية

ثم قال

ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية وهؤلاء الانصار
ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له في المسلمين
وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة
حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة
في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي
فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه
سبه فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن
قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحق
غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد
عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة من ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما انه يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته والآخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري
قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب
الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس
طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم
وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال
لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله
بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر

في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه
الذي صوّب قوله هو أحق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه
في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه و
يبغض في الله تعالى وقال أبو عمران في رجل قال لو شهد علي أبو بكر
الصديق إن كان في مثل ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه
وإن كان أراد غير هذا فيضرب يبلغ به حد الموت وذكرها رزينه
قال القاضي أبو الفضل هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض
الذي انتحيناه واستوفى الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن في كل
قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج إلى بغيته ومنزع وقد سفرت
فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب في التحقيق
لم يورد لها قبل في أكثر التصانيف مشرع وأودعته غير ما فصل
وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه أو مقتدى يفيدنيه
عن كتابه أو فيه لأكتفي بما أرويه عما أرويه وإلى الله تعالى جزيل الضراعة
في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره
وأن يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما أودعناه من شرف مصطفاه
وأمين وحيه وأسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله وأعملنا فيه خواطرنا
من إبراز خصائصه ووسائله ويحمي أعراضنا عن ناره الموقدة
لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل عن حوضه
ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا بأسبابه

وذخيرة

وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير نحوز بها رضاه
وجزيل ثوابه وتخصنا بخصيصى زمرة نبينا صلى الله عليه وسلم
وجماعته ويحشرنا في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل
شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى إليه من جمعه وألهم وفتح البصيرة
لدرك حقائق ما أودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء
لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله ولا
ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين
وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على نبينا محمد خاتم النبيين
وسلم كثيرا وهو رواية ابن جبير تم كتاب الشفا في تعريف حقوق
المصطفى نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وعلى أصحابه يوم الدين على يد أضعف
حافظ علي الشهير بالفرائضي عامله الله تعالى
بالحسنى وزيادة وغفر له ولوالديه
ولجميع المؤمنين أجمعين سنة خمس
وثمانين ومائة وألف
في شهر ربيع الأول
في نيابة مدينة
دمشق حرسها الله
تعالى وسائر بلاد المسلمين آمين

